
نتيجة
مسابقة السنة النبوية
مجلة إسلامية ثقافية شهرية
تصدر عن جماعة أنصار السنة المحمدية
التوحيد
العدد ٤٥٢ - السنة الثامنة والثلاثون - شعبان ١٤٣٠ هـ - الثمن ١٥٠ قرشا
الأقليات الإسلامية .. والعنصرية الغربية
الفنجري ينضم لحزب البنا للتشكيك في السنة
بدعة الاحتفال بليلة النصف من شعبان
جنة الدنيا

بسم الله الرحمن الرحيم

فاعلم أنه لا إله إلا الله

التحرير

٨ شارع قولة - عابدين - القاهرة

ت: ٢٣٩٣٦٥١٧ - فاكس: ٢٣٩٣٠٦٦٢

قسم التوزيع والاشتراكات

ت: ٢٣٩١٥٤٥٦

المركز العام

هاتف: ٢٣٩١٥٥٧٦ - ٢٣٩١٥٤٥٦

"السلام عليكم"

التربية الموصلة إلى الجنة

لقد ترك صلاح الدين وصية عظيمة لابنه الملك الأفضل قال فيها: أوصيك بتقوى الله تعالى فإنها رأس كل خير، وآمرك بما أمرك الله به فإنه سبب نجاحك، وأحذرك من الدماء والدخول فيها، لا تقتل بالشبهة، لا تقتل بدون سبب، لا تقتل دون حاجة، فإن الدم لا ينام، أوصيك بحفظ قلوب الرعية، والنظر في أحوالهم، والاهتمام بهم دائمًا، فأنت أميني وأمين الله عليهم، أوصيك بحفظ قلوب الأمراء وأرباب الدولة والأكابر؛ فما بلغتُ الذي بلغتُ إلا بمجاراة الناس، لا تحقد على أحد فإن الموت لا يُبقي على أحد، واحذر مابينك وبين الناس، فإن الله تعالى لا يغفر إلا برضاهم، لا تظلم أحدًا، فإذا ظلمت فإنه لا يُغفر لك إلا إذا عفا عنك صاحب الحق، أما ما بينك وبين الله فإن الله واسع المغفرة، وكريم لا يخذل التائبين.

التحرير

التوزيع الداخلي:

مؤسسة الأهرام وفروع أنصار السنة المحمدية

السنة الثامنة والثلاثون
العدد ٤٥٢ شعبان ١٤٣٠ هـ

"في هذا العدد"

ثمن النسخة

مصر ١٥٠ قرشاً، السعودية ٦ ريالات، الإمارات ٦ دراهم، الكويت ٥٠٠ فلس، المغرب دولار أمريكي، الأردن ٥٠٠ فلس، قطر ٦ ريالات، عمان نصف ريال عماني، أمريكا ٢ دولار، أوروبا ٢ يورو

الاشتراك السنوي

١ . في الداخل ٢٠ جنيها (بحوالة بريدية داخلية باسم مجلة التوحيد - على مكتب بريد عابدين).
٢ . في الخارج ٢٠ دولارا أو ٧٥ ريالا سعوديا أو ما يعادلهما.
ترسل القيمة بسويفت أو بحوالة بنكية أو شيك على بنك فيصل الإسلامي - فرع القاهرة - باسم مجلة التوحيد - أنصار السنة (حساب رقم / ١٩١٥٩٠).

البريد الإلكتروني

المجلة:
MGTAWHEED@HOTMAIL.COM
رئيس التحرير:
GSHATEM@HOTMAIL.COM
GSHATEM@HYAHOO.COM
التوزيع والاشتراكات:
SEE2070@HOTMAIL.COM
موقع المجلة على الإنترنت:
WWW.ALTAWHED.COM
موقع المركز العام:
WWW.ELSONNA.COM

٦٨٠ جنيهاً للأفراد والهيئات والمؤسسات داخل مصر و ٢٣٠ دولار خارج مصر شاملة سعر الشحن

افتتاحية العدد

كل بدعة ضلالة

بقلم/ الرئيس العام

د/ عبدالله شاكر الجنيدي

www.sonna_banha.com

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين، وعلى آله وصحبه ومن سلك سبيلهم إلى يوم الدين، وبعد:

فمن تمام نعمة الله على أهل الإيمان أن أكمل لهم الدين ورضي لهم الإسلام، قال تعالى: «الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلاَمَ دِينًا» [المائدة: ٣]، وهذه الآية نزلت في يوم عرفة في الحجة التي حجها رسول الله ﷺ، وقد نصَّ بعض أهل العلم على أن الله لم ينزل شيئًا من الفرائض، ولا تحليل شيء ولا تحريمه بعد هذه الآية، وأن النبي ﷺ لم يعش بعد نزولها إلا إحدى وثمانين ليلة.

وقد روى ابن جرير أن ابن عباس - رضي الله عنهما - قال في هذه الآية: «أخبر الله نبيه ﷺ والمؤمنين أنه أكمل لهم الإيمان فلا يحتاجون إلى زيادة أبدًا، وقد أتمه الله عز ذكره فلا ينقصه أبدًا، وقد رضيه الله فلا يسخطه أبدًا»(١).

ويقول ابن حجر في تعليقه على الآية: «وإذا كان قد كمل فلا تكون الزيادة فيه إلا نقصانًا في المعنى مثل زيادة أصبع في اليد، فإنها تنقص قيمة العبد الذي يقع به ذلك»(٢).

ويناقش القاسمي - رحمه الله - الذين يستخدمون الرأي في الدين بعد هذا البيان والكمال فيقول: «جاءت نصوص الكتاب العزيز بإكمال الدين، وبما يفيد هذا المعنى ويصحح دلالته، ويؤيد برهانه، ويكفي في دفع الرأي وأنه ليس من الدين؛ قول الله تعالى هذا، فإنه إذا كان قد أكمل دينه قبل أن يقبض إليه نبيه ﷺ، فما هذا الرأي الذي أحدثه أهله بعد أن أكمل الله دينه ؟ لأنه إن كان من الدين في اعتقادهم فهو لم يكمل عندهم إلا برأيهم، وهذا فيه رد للقرآن، وإن لم يكن من الدين فأي فائدة في الاشتغال بما ليس منه؟ وما ليس منه فهو ردّ بنص السنة المطهرة، كما ثبت في الصحيح، وهذه حجة قاهرة ودليل باهر لا يمكن أهل الرأي أن يدفعوه أبدًا، فاجعل هذه الآية الشريفة أول ما تصك به وجوه أهل الرأي، وترغم به آنافهم، وتدحض به حجتهم، فقد أخبرنا الله في كتابه أنه أكمل دينه ولم يمت رسول الله ﷺ إلا بعد أن أخبرنا بهذا الخبر عن الله عز وجل، فمن جاء بشيء من عند نفسه وزعم أنه من ديننا قلنا له: إن الله أصدق منك: «وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ قِيلاً». اذهب لا حاجة لنا في رأيك، وليت المقلدة فهموا هذه الآية حق الفهم حتى يستريحوا ويريحوا»(٣).

ولقد أدرك سلفنا الصالح ومن تبعهم بإحسان هذه الحقيقة فوقفوا عند حدود النصوص ولم يتجاوزوها، بل حذروا من الابتداع في الدين، غير أن أهل الأهواء انحرفوا عن الصراط المستقيم، واستحسنوا بعقولهم أشياء لم يأت بها النبي الأمين ﷺ، وزعموا بذلك أنهم أهدى سبيلاً وأقوم قيلاً، وما أدرك هؤلاء أنهم بهذا يستدركون على الدين ويطعنون في المبعوث رحمة للعالمين ﷺ.

يقول الإمام البربهاري - رحمه الله -: «واعلم أن من قال في دين

الله برأيه وقياسه وتأوله من غير حجة من السنة والجماعة، فقد قال على الله ما لا يعلم، ومن قال على الله ما لا يعلم فهو من المتكلفين، والحق ما جاء به رسول الله ﷺ »(٤).

وقال ابن حجر في المناظرة التي جرت بين أبي بكر وعمر - رضي الله عنهما - في قتال مانعي الزكاة: «وفي القصة دليل على أن السنة قد تخفى على بعض أكابر الصحابة ويطلع عليها آحادهم، ولهذا لا يلتفت إلى الآراء - ولو قويت - مع وجود سنة تخالفها، ولا يقال: كيف خفي ذا على فلان ؟ والله الموفق»(٥).

ويقول الشيخ بكر أبو زيد - رحمه الله -: «كل من أحدث في التعبد كالذكر والدعاء المقيد ما ليس منه تسننا فقد أثم من جهات أربع: هجر المشروع، والاستدراك على الشرع، واستحباب ما لم يشرع، وإيهام العامة بمشروعيته، فليحذر العبد القانت لربه من إحداث ما لم يشرع، ففي المشروع كل خير، وخيرة الله للعبد خير من اختيار العبد لنفسه»(٦).

ومع كل ذلك نجد أن المبتدعة لا يكفون عن نشر بدعهم والدعوة إليها من حين لآخر، وكلما خبت بدعة جنَّد الشيطان لها أتباعًا، وقد كثر هؤلاء في هذا الزمان، ومن حيلهم أنهم يجندون لنشر بدعهم من لا علم عندهم بأصول وقواعد الشريعة، ويزعمون بعد ذلك خدمة الدين والحرص على المسلمين، ولم يفقهوا أن كل بدعة ضلالة بخبر المعصوم الذي لا ينطق عن الهوى ﷺ ، وراحوا يتلمسون لبدعهم من أقوال أئمة أهل العلم ما يؤيد طريقتهم، وهذا هو التلبيس والتدليس، وأمثال هؤلاء لم يعرفوا منهج العلماء، ولم يميزوا بين الصحيح وغيره، بل لم يعظموا النصوص الشرعية، وقدموا عليها أقوال مشايخهم، والواجب على المسلم أن يقدم كلام الله وكلام رسوله ﷺ على قول كل أحد كائنًا من كان. قال الله تعالى: «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاَ تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ» [الحجرات: ١].

وعلماء الأمة الربانيون نهوا عن تقليدهم بغير دليل. قال الإمام الحافظ ابن كثير في شرحه لقوله تعالى: «حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلاَةِ الْوُسْطَى» [البقرة: ٢٣٨]، «وقد ثبتت السنة بأنها العصر، فتعين المصير إليها، وقد روى الإمام أبو محمد عبد الرحمن بن أبي حاتم الرازي - رحمه الله - في كتاب فضائل الشافعي - رحمه الله -: حدثنا أبي، سمعت حرملة بن يحيى التجيبي يقول: قال الشافعي: كل ما قلت فكان عن النبي ﷺ خلاف قولي مما يصح فحديث النبي ﷺ أولى، ولا تقلدوني، وكذا الربيع والزعفراني، وأحمد بن حنبل عن الشافعي.

وقال موسى أبو الوليد بن أبي الجارود عن الشافعي: «إذا صح الحديث وقلت قولاً فأنا راجع عن قولي وقائل بذلك».

ثم عقب ابن كثير على ذلك بقوله: «فهذا من سيادته وأمانته - أي الشافعي -، وهذا نَفَسُ إخوانه من الأئمة - رحمهم الله ورضي الله عنهم جميعًا، ومن هنا قطع الإمام الماوردي بأن مذهب الشافعي - رحمه الله - أن الصلاة الوسطى هي صلاة العصر، وإن كان قد نص في الجديد وغيره أنها الصبح، لصحة الأحاديث أنها في العصر، وقد وافقه على ذلك جماعة من محدثي المذهب ولله الحمد والمنة»(٧).

وقد ذاع واشتهر في أوساط الأمة قول الإمام مالك - رحمه الله -: «كل يؤخذ من قوله ويُرد عليه إلا رسول الله ﷺ ».

«من أَحْدَثَ في التعبد كالذكر والدعاء المقيد ما ليس منه تسنناً فقد أثم من جهات أربع: هجر المشروع، والاستدراك على الشرع، واستحباب ما لم يشرع وإيهام العامة بمشروعيته»

وقال ابن العربي المالكي: «قال المالكية: ليس ذلك - أي الصلاة على الغائب - إلا لمحمد ﷺ. قلنا: وما عمل به محمد ﷺ عملتْ به أمته، يعني لأن الأصل عدم الخصوصية، قالوا: طويت له الأرض وأحضرت الجنازة بين يديه، قلنا: إن ربنا عليه لقادر، وإن نبينا ﷺ لأهل لذلك، ولكن لا تقولوا إلا ما رويتم، ولا تخترعوا حديثًا من عند أنفسكم، ولا تحدثوا إلا بالثابتات ودعوا الضعاف، فإنها سبيل إتلاف إلى ما ليس له تلاف»(٨).

وقال ابن القيم - رحمه الله -: «تجريد المتابعة أن لا تقدم على ما جاء به قول أحد ولا رأيه كائنًا من كان، بل تنظر في صحة الحديث أولاً، فإذا صح لك نظرت في معناه ثانيًا، فإذا تبين لك لم تعدل عنه، ولو خالفك من بين المشرق والمغرب، ومعاذ الله أن تتفق الأمة على مخالفة ما جاء به نبيها ﷺ، بل لا بد أن يكون في الأمة من قال به ولو لم تعلمه، فلا تجعل جهلك بالقائل به حجة على الله ورسوله، بل اذهب إلى النص ولا تضعف، واعلم أنه قد قال به قائل قطعًا ولكن لم يصل إليك، وهذا مع حفظه مراتب العلماء وموالاتهم واعتقاد حرمتهم وأمانتهم واجتهادهم في حفظ الدين وضبطه، فهم دائرون بين الأجر والأجرين والمغفرة، ولكن لا يوجب هذا إهدار النصوص وتقديم قول الواحد منهم عليها... فمن عرض أقوال العلماء على النصوص ووزنها بها وخالف منها ما خالف النص لم يهدر أقوالهم ولم يهضم جانبهم، بل اقتدى بهم، فإنهم كلهم أمروا بذلك، فمتبعهم حقًا من امتثل ما أوصوا به، لا من خالفهم، فخلافهم في القول الذي جاء به النص أسهل من مخالفتهم في القاعدة الكلية التي أمروا بها ودعوا إليها من تقديم النص على أقوالهم»(٩).

ولكلام ابن القيم ومن سبقه قيمة علمية وميزان دقيق، فهو دعوة إلى احترام أهل العلم والاجتهاد، ولكن لا يتابعون في مخالفة بعضهم للنصوص إذا ثبتت، وعدم متابعتهم عند مخالفتهم للنصوص هو في الحقيقة متابعة لهم في اعتقادهم تقديم كلام الله وكلام رسوله ﷺ على كلامهم، وقد سبق ذكر بعض أقوالهم.

وبعد هذه النقول القيمة عن الأئمة أذكر بعض ما قاله أهل العلم في تعريف البدعة:

مدلول البدعة لغة واصطلاحًا

البدعة في اللغة: يقال: بدَع الشيءَ يَبْدَعُه بَدْعًا وابتدعه: أنشأه وبدأه، والبدعة: الحدث، وما ابتدع من الدين بعد الإكمال، وبدَّعه - بالتشديد - نسبه إلى البدعة، والبديع: المحدث العجيب وأبدعتُ الشيء: اخترعته لا على مثال(١٠).

وقال الخليل بن أحمد: «والبدعة: اسم ما ابتدع من الدين وغيره، وتقول: لقد جئت بأمر بديع، أي: مبتدع عجيب، وابتدعت: جئت بأمر مختلف لم يُعرف»(١١).

ويظهر من هذه التعريفات أن البدعة في اللغة: الشيء المخترع المحدث على غير مثال سابق، أما تعريف البدعة اصطلاحًا، فقد عرفها كثير من أهل العلم، وقد فتحت بعض هذه التعريفات بابًا للمبتدعة القائلين بالبدعة الحسنة والبدعة السيئة، وذلك بسبب سوء فهم منهم للتعريف، وسأشير إلى ذلك في حينه - إن شاء الله تعالى -، وسأبدأ بذكر أجمع تعريف للبدعة وقفت عليه، وهو تعريف الإمام الأصولي المحقق أبي إسحاق الشاطبي - رحمه الله -، وفيه يقول: «البدعة طريقة في الدين مخترعة تضاهي الشرعية يقصد

تجريد المتابعة أن لا تقدم على ما جاء به الرسول ﷺ قول أحد ولا رأيه كائناً من كان، ومعاذ الله أن تتفق الأمة على مخالفة ما جاء به نبينا ﷺ

بالسلوك عليها المبالغة في التعبد لله سبحانه»(١٢).

وقد شرح الشاطبي هذا التعريف بكلام حسن جميل يحسن إيراده هنا: «فالطريقة، والطريق والسبيل والسنة هي بمعنى واحد، وهو رسم للسلوك عليه، وإنما قيدت بالدين، لأنها فيه تخترع وإليه يضيفها صاحبها، وأيضًا فلو كانت طريقة مخترعة في الدنيا على الخصوص لم تسم بدعة كإحداث الصنائع والبلدان التي لا عهد بها فيما تقدم».يعني لا يقال: بدعة حسنة.

ومعنى «تضاهي الشرعية»: يعني أنها تشابه الطريقة الشرعية من غير أن تكون في الحقيقة كذلك، بل هي مضادة لها من أوجه متعددة:

منها: وضع الحدود كالناذر للصيام قائمًا لا يقعد، ضاحيًا لا يستظل، والاختصاء في الانقطاع للعبادة، والاقتصار من المأكل والملبس على صنف دون صنف من غير علة.

ومنها: التزام الكيفيات والهيئات المعينة، كالذكر بهيئة الاجتماع على صوت واحد، واتخاذ مولد النبي ﷺ عيدًا، وما أشبه ذلك.

ومنها: التزام العبادات المعينة في أوقات معينة لم يوجد لها ذلك التعيين في الشريعة، كالتزام صيام يوم النصف من شعبان وقيام ليلته.

وقوله في التعريف: «يقصد بالسلوك عليها المبالغة في التعبد لله تعالى» وهذا القيد هو تمام معنى البدعة ؛ إذ هو المقصود بتشريعها، وذلك أن أصل الدخول فيها يحث على الانقطاع للعبادة والترغيب في ذلك ؛ لأن الله تعالى يقول: «وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنْسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُونِ» [الذاريات: ٥٦]، فكأن المبتدع رأى أن المقصود هذا المعنى، ولم يتبين له أن ما وضعه الشارع فيه من القوانين والحدود كاف(١٣)، وقد تبين بهذا القيد أيضًا أن البدع لا تدخل في العادات إلا إذا كانت هذه العادات متعارضة مع أوامر الشرع، وقد عبَّر عن ذلك الإمام ابن تيمية بقوله: «والأصل في العادات أن لا يحظر منها إلا ما حظره الله»(١٤).

وهذه عبارة دقيقة منه - رحمه الله - تدفع كثيرًا من الإشكالات، وقد ذكر الإمام الشاطبي - رحمه الله - نحو هذا الكلام فقال: «... وأيضًا إن عدوا كل مُحدث العادات بدعة، فليعدوا جميع ما لم يكن فيهم من المآكل والمشارب والملابس والكلام والمسائل النازلة التي لا عهد بها في الزمان الأول بدعًا، وهذا شنيع، فإن من العوائد ما تختلف بحسب الأزمان والأمكنة، نعم: لا بد من المحافظة في العوائد المختلفة على الحدود الشرعية والقوانين الجارية على مقتضى الكلام والسنة»(١٥). وإلى اللقاء في الحلقة القادمة - إن شاء الله - والسلام عليكم ورحمة الله.

البدعة هي: طريقة في الدين مخترعة تضاهي الشرعية يقصد بها بالسلوك عليها المبالغة في التعبد لله سبحانه وتعالى

الهوامش:

١- تفسير ابن جرير ج٦ / ٥١.
٢- فتح الباري ج١٣ / ٣٥٢.
٣- محاسن التأويل المعروف بتفسير القاسمي ج٦ / ١٨٣٥، ١٨٣٦.
٤- شرح السنة للبربهاري ص٦٠.
٥- فتح الباري ج١ / ٧٦.
٦- تصحيح الدعاء ص٤٢.
٧- تفسير ابن كثير ج١ / ٤١١.
٨- فتح الباري لابن حجر ج٣ / ١٨٩.
٩- الروح لابن القيم ص٢٦٤.
١٠- لسان العرب لابن منظور ج٨ / ٦.
١١- كتاب العين ج٢ / ٥٤.
١٢- الاعتصام للشاطبي ص٢٨.
١٣- المرجع السابق ص٣٠.
١٤- اقتضاء الصراط المستقيم ج٢ / ٥٨٢.
١٥- الاعتصام للشاطبي ص٣٢٧، ٣٢٨.



الأقليات الإسلامية .. والعنصرية الغربية !!

بقلم
رئيس التحرير
جمال سعد حاتم

الحمد لله رب العالمين، جامع الأولين والآخرين ليوم الفصل والدين، الحمد لله الذي أحصى كل شيءٍ عدداً، ورفع بعض خلقه على بعض فكانوا طرائق قدداً.... وبعد؛

إن معركة المصير التي قضى الله أن لا تخبوا نارُها ولا تخمد جذوتها ولا يسكن لهيبها، بل تَظلُّ مُسْتَعِرَةً حتى يرث الله الأرض ومن عليها، هي معركة الحق مع الباطل، والهدى مع الضلال، والكُفْر مع الإيمان.

وأن هذه المعركة في واقعها، انتفاضَةُ الخير أمام صولة الشر في كل صوره وألوانه، ومهما اختلفت راياته وكثر جنده وعظم كيده وأَحدَقَ خَطَرهُ.

فعلى مدار الأيام والأسابيع الماضية كانت الأخبار وكأنها تحمل في طياتها فتنًا وإشعالاً لحرب شرسة شاملة على الإسلام وأهله، ففي ألمانيا إحدى الدول الغربية التي تتشدق بحرية الدين والكلمة وما إلى ذلك من الشعارات الخاوية تُطلّ العنصرية الدفينة، والبغض الكامن في النفوس من النازيين الجُدُد، وكان من هؤلاء النازيين المتطرفين مُواطناً ألمانياً غربياً يرتكب جريمة بشعة وذلك بطعن الدكتورة مروة الشربيني ثمانية عشر طعنة بسكين في قاعة محكمة ولاية ساكسونيا في مدينة دريسدن ولم يتركها حتى فارقت الحياة هي وجنينها وأصاب زوجها، وقبلها نقلت لنا وكالات الأنباء صوراً حية للمجازر التي ترتكب في حق إخوة لنا في الدين على أيدي قوات الأمن الصينية في تركستان الشرقية، وفي صورة أخرى من صور العنصرية الغربية تكشف الشُرْطة البريطانية عن خطة كاملة لنسف بعض المساجد في لندن بالمتفجرات، وفي أفغانستان بدأ القديس أوباما عملية عسكرية أطلق عليها «الخنجر» بحجة القضاء على طالبان، وفي تطاول صارخ على الدين الإسلامي والنبي محمد # نشرت صحيفة وول ستريت جورنال مقالاً للكاتب ستيفن بروثيرو يقول فيه: «إن ظاهرة القرصنة في المياه الإقليمية تُعَدُ انعكاساً لغزوات النبي محمد في السنوات الأولى للإسلام !!» وفي بلد الأزهر ... مصر تقوم الدولة متحدية كل مشاعر المسلمين بمنح جائزة الدولة التقديرية في العلوم الاجتماعية لسيد القمني ذلك الكاتب الذي لاهم له إلاَّ الطعن في الإسلام والمسلمين، ولا حول ولا قوة إلا بالله رب العالمين !!

اغتيال مروة الشربيني .... والعنصرية تطلُّ من جحورها !!

جاء جثمان مروة الشربيني المسلمة المحجبة بعد مقتلها على يد ألماني مُتطرف ليُدفن في مصر، حيث ظهرت أولى حركات تحرر المرأة من دينها، عادت وحجابها فوق الرؤوس، لا تحت الأقدام كما فعلت قبل عقود صفية زغلول ورفيقاتها، ففي سنة ١٩٢١م خلعت صفية زغلول حجابها لحظة وصولها مع زوجها سعد زغلول إلى الإسكندرية، وبعد ثمانية عقود عادت مروة الشربيني إلى الإسكندرية بحجابها وهو مدرج بدمائها، وتقول: ها قد عدنا يا صفية إلى حجابنا بعد أن نزعيته عنك ومع كل محاولاتك لصد المسلمات عن حجابهن إلاّ أننا قد عدنا يا صفية!!

إنه لم يكن حادثاً فردياً ... بل تعبيراً عن ثقافة وسلوك بدأ

يَسُود المجتمع الغربي، إنها جريمة بكل معنى الكلمة المتهم فيها ليس هو فقط «إليكس» البالغ من العمر ٢٨ عاماً، بل المجتمع الألماني بأسره، بل أوروبا ومن مضى على طريقها.

إن جريمة الدكتورة مروة الشربيني تمثلت في ارتدائها الحجاب، إنه حجاب عادي، فقط غطاءٌ للرأس ولكن ذلك وحده كان كافياً لأن يدفع الشاب الألماني إلى التحرش بها والاعتداء عليها بالسباب والألفاظ النابية خاصة بعد أن راح يصفها علانية بأنها إرهابية وإسلامية !!

لقد تحول إسلامها إلى إتهام، وحجابها إلى إرهاب، وأضحت هدفاً لهذا الشاب الألماني ولغيره من الذين صدعوا رؤسنا بالحديث عن احترام الحضارات والثقافات، والاحتكام إلى الحوار لحل ساحة العدالة والقضاء لمواجهة الإهانات التي تتعرض لها، وأمام الجميع ووسط حشد من رجال الأمن، استَلّ الشاب الألماني سكيناً وراح يوجه إليها ١٨ طعنة ليقتلها أمام الجميع دون أن يحرك ذلك ساكنًا من الجميع، ولقد كشف هذا الحادث مجدداً : أن القيم التي ينفي بها الغرب عن حرية الفكر والعقيدة، والتعايش مع الآخرين هي مجرد أكاذيب وأوهام، وأن ثقافة العنف والعنصرية هي التي تحكم هذه المجتمعات وتعبر عن سلوك أفرادها.

بأي ذنب قتلت ؟!!

ولكي نلقي نَظرةً فاحصة على الحادثة المفجعة، علينا أن نعرف تفاصيل وأسرار ما حدث وأسبابه وتداعياته:

فألمانيا دولة تتكون من ١٦ ولاية اتحادية، وكل ولاية تعتبر دولة تتمتع بسلطات مستقلة، لها دستورها الخاص وحكومتها المستقلة بميزانياتها ورئيس وزارائها إلا أنها تخضع في النهاية للدولة الاتحادية، وإحدى هذه الولايات هي ولاية ساكسونيا التي كانت جزءاً من أراضي دولة ألمانيا الشرقية سابقاً.

وأسباب الجريمة ترجع لمشادة حدثت في عام ٢٠٠٨ بين مروة الشربيني، والقاتل بسبب رغبة إبنها الذي كان يبلغ من العمر حينها عامين ونصف العام في اللعب على الأرجوحة في أحد ملاعب الأطفال بجوار منزلها، ورفض طفل ألماني ذلك، إلاّ أنها فوجئت بالقاتل «إليكس» يسبها دون مُبَرر بأنها إسلاموية «حسب تعتبر المعادين للتيار الإسلامي. ومتطرفة وإرهابية» .... بل وحتى عاهرة وهو بالطبع ما لم تتحمله كأي امرأة محترمة» فأصرت على اللجوء للقضاء ليعيد إليها حقها خاصة أن بعض الألمان قد أيدوها في ذلك وأكدوا على ذلك أمام النيابة العامة والقضاء. فحكم على المتهم بغرامة قدرها ٨٧٠ يورو، واستأنفت النيابة العامة الحكم لأنها رأت أن الحكم مخفف، وقد وقعت الجريمة البشعة داخل مقر محكمة ولاية ساكسونيا. أثناء نظر الاستئناف، حين فاجأ القاتل الجميع وأخرج سكين وطعن بها مروة خلال ٣٢ ثانية ثمانية عشر طعنة قاتلة أودت بحياتها على الفور، وطعن زوجها المبعوث للحصول على شهادة الدكتوراه في جسده ست طعنات فأسرع المحامي والقاضي بطلب الشرطة وعندما وصلت الشرطة وجدوا التحاماً بين الزوج الذي يدافع عن زوجته والقاتل فأطلق الشرطي الرصاص على الضحية بدلاً من المتهم !!

خطاب عنصري وحرب على الإسلام !!

وفي هذا الجو العدائي للإسلام من الغرب خرج علينا الزعيم البرلماني الهولندي المتطرف جريت فيلدرز منذ أيام ليطالب بطرد ملايين المسلمين من أوروبا مدعياً أن المسلمين خطر على أوروبا وعلى الديمقراطية فيها، وأنهم يسعون إلى تغيير أسلوب الحياة في أوروبا و «أسلمة» المجتمعات الأوروبية وأن دول الاتحاد الأوروبي مهددة بأن تصبح دولاً إسلامية بسبب تزايد هجرة المسلمين إليها، وهدد فيلدرز المسلمين بأنه شخصياً سيعمل بوسائله على تحجيم وجود المسلمين في أوروبا زاعماً أن المسلمين مسئولون عن ٨٠٪ من الجرائم التي يرتكبها الأجانب في هولندا والدنمارك والأمثلة تفوق الحصر على أن نزعة العداء للإسلام منتشرة في الغرب حتى أن وزيراً إيطالياً «روبرتوكالديروني» خرج أيام أزمة الرسوم المسيئة للرسول # في الدانمارك والتي أعادت نشرها الصحف في الدول الأوربية في تحد لمشاعر المسلمين ليُعلّن أنه سيقوم بتوزيع قمصان بالمجان مطبوع عليها هذه الرسوم « وَلَنْ تَرْضَى عَنْكَ الْيَهُودُ وَلاَ النَّصَارَى حَتَّى تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ قُلْ إِنَّ هُدَى اللَّهِ هُوَ الْهُدَى وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ بَعْدَ الَّذِي جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلاَ نَصِيرٍ» [البقرة: ١٢٠] والعنصرية الغربية الدفينة تظهر مع المواقف والأحداث معبرة عما يُكنه الغرب من حقد أعمى على الإسلام والمسلمين، ورسالة دماء الدكتورة مروة تؤكد أن الشعارات المرفوعة والعبارات المعسولة ما هي إلا كلمات جوفاء ليس لها نصيب من الواقع، ورسالة أخرى

هي أن المسلمين يموتون من أجل دينهم، ولا يفرطون فيه، حتى لو كلفهم ذلك حياتهم، ولعل تلك المواقف التاريخية لثبات المسلمين على دينهم هي التي أثارت حنق الغرب وحقده ضد المسلمات !!

القرآن أقوى من فرنسا

وفي هذا الصدد فإننا نذكر بمناسبة مرور مائة عام على احتلال فرنسا للجزائر وقف الحاكم الفرنسي آنذاك وقال: «إننا لن ننتصر على الجزائريين ما داموا يقرؤون القرآن ويتكلمون العربية فيجب أن نزيل القرآن من وجودهم ونقطع اللسان العربي من ألسنتهم حتى ننتصر عليهم» وبعد ذلك بسنوات قلائل قامت فرنسا بتجربة عملية من أجل القضاء على الروح الإسلامية العربية في نفوس الشباب فانتقت عشر فتيات جزائريات مسلمات وأدخلن المدارس الفرنسية وعلمن اللغة والثقافة والتقاليد الفرنسية حتى أصبحن كالفرنسيات، وبعد ١١ عاماً من تلك الجهود هيأت الحكومة الفرنسية لهن حفل تخرج كبير دُعي إليه الوزراء والصحافيون والمفكرون ليروا نتيجة التجربة، ولما بدأت الحفل فوجيء الجميع بالفتيات يدخلن بالحجاب الإسلامي فثارت ثائرة الصحف الفرنسية وقتها وتساءلت: «ماذا غيرت فرنسا في الجزائر بعد ١٣٠ عاماً من الاستعمار» أجاب «لاكوست» رئيس المستعمرات الفرنسية آنذاك: «وماذا أفعل إذا كان القرآن أقوى من فرنسا».

ورسالة أخيرة إلى الدعاة والمصلحين، فقد وقعت استغاثة مسلمة عندما كشف ثوبها يهودي على مرأى ومسمع من رجال أفذاذ فَأُجْلِيَ قَوْمٌ عن بكرة أبيهم ثأراً لها في غزوة بني قينقاع، وفتح المعتصم بالله عمورية استجابة لاستغاثة امرأة فأين ستقع قطرات دم مروة ؟ وهل سيحرك دمها رياح البذل والتضحية في قلوب دعاتنا، ومصلحينا ومليار ونصف المليار مسلم في أنحاء المعمورة ؟!!!

إشعاع الإسلام يظهر عنصريتهم الدفينة !!

إنه حين ينعكس الوضع وتنتكس الفطر وتلتات العقول، وتضطرب الأفهام، بحسب كثير من أصحاب الفرق الهالكة، والمذاهب الضالة، والأديان الباطلة أنهم على شيء، وأن العاقبة والمستقبل لهم من دون الناس.

ولكن الذي لا يرتاب فيه أولوا الألباب، والذي يستيقنه أولو النهى، أن المستقبل كله لهذا الدين، وأن الغلبة والظهور له وحده، هذا الدين الحق الذي أكمله الله لعباده، وأتم عليهم به النعمة، ورضيه لهم ديناً، كما قال سبحانه: «الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلاَمَ دِينًا» [المائدة: ٣].

فالمستقبل للإسلام؛ لأنه الدين الذي رفع الله به قدر الإنسان وكرمه وشرفه، حين أخبر سبحانه في أصدق الحديث وأشرف القيل ومحكم التنزيل أنه خَلَق بيديه، ونفخ فيه من روحه، وأسجد له ملائكته.

والمستقبل لهذا الدين الذي اتسمت رسالته بالحنفية السمحة الموافقة للفطرة السليمة والعقول القويمة التي تجلت فيما أحل الله لعباده من الطيبات النافعات في الدين والدنيا وما حرم عليها من الخبائث الضارة بالدين والدنيا وأمثال ذلك مما رفع الله عن هذه الأمة برحمته وكرمه وإحسانه كما قال سبحانه: «الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالأَغْلاَلَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنْزِلَ مَعَهُ أُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ» [الأعراف :١٥٧].

مسلمو الايجو .. وتركستان المنسية !!

ومع اشتداد الهجمات على الإسلام وأهله، نجد أن تلك الهجمات لا تزيد الدين وأهله إلا صلابة وثباتًا وانتشارًا وظهورًا، يقول الله تعالى في كتابه الحكيم: «هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا» [الفتح: ٢٨].

إنهم يعلمون ونعلم أن الذين يدخلون في دين الإسلام في ازدياد وتنامي، مع كل الظروف والمتغيرات والأحداث والمقاومات، بل والتهديد والتسوية للإسلام وأهله ونبيه وقرآنه.

وأننا لنرى بأم أعيننا أن المسلمين يضطهدون في كل بقعة وأينما كانوا، ودماء المسلمين هينة رخيصة تسال كل يوم، وما من بؤرة نزاع أو اضطهاد إلا وترى أن المسلمين قد اختصوا بالنصيب الأعظم والأحداث الأخيرة والتي وقعت في تركستان الشرقية حين وقعت المصادمات بين المسلمين الإيجور والصينيون «الهان» تلك المنطقة التي قد لا يعرف الكثير من المسلمين عنها شيء.

والإيجور هي عرقية مسلمة موطنها الأصلي هو إقليم تركستان الشرقية الذي يقع شمال غربي

الصين، ويبلغ عدد سكان الإيجور نحو ٢٥ مليون نسمة، وتبلغ مساحة الإقليم ١,٨مليون كم٢، أي ما يعادل خُمس المساحة الكلية للصين وهو غني بموارد الطبيعة، وتعد تركستان الشرقية «شينجانج» ثاني أكبر إقاليم الصين إنتاجًا للبترول، والإيجور يتكلمون لغة محلية تركمانية ويخطون كتاباتهم بالعربية، ولهم ملامح القوقازيين، وكانوا يشكلون ٩٠٪ من سكان المنطقة، لكن السلطات الصينية قامت بتهجير عدد كبير من قومية «الهان» البوذية إلى تركستان الشرقية لتغيير التركيبة السكانية للبلاد حيث تزايد عدد قومية «الهان» الصينية في تركستان من ٦,٧٪ إلى ٤٠,٦٪ حسب الأرقام الرسمية وأصبحوا يسيطرون على الوظائف الرئيسية وعلى النشاط السياسي، وكانت تركستان الشرقية جزءًا من أراضي خضعت لحكام المسلمين في عصور عدة إلى أن ضمتها إمبراطورية مانشو الصينية عام ١٧٥٩م .

ماذا يعرف المسلمون عن مسلمي الصين؟

كما قلنا إن الإحداث تكشف لنا بجلاء عن مدى الغفلة التي نعيشها، وكأن المسلمون ينتظرون نازلة أو كارثة حتى تكشف لهم عن جزء من أجزاء أمتهم المبعثرة، مثلما حدث من مجازر مع البوسنة والهرسك في أوائل التسعينات من القرن المنصرم، عندما اكتشف المسلمون أن لهم أمة كبيرة في قلب أوربا تعد بالملايين وهم لا يعرفون عنها شيئًا قط، حتى وقعت الواقعة، وكذلك لما سقط الاتحاد السوفيتي، وجد المسلمون أن أمم ضخمة بعشرات الملايين كانت تعيش في أسر هؤلاء الطغاة، وهكذا الحال مع مسلمي الصين الذين يقدر تعدادهم وفق الرواية الصينية بـ ٢٥ مليون مسلم، وهو عدد ضئيل للغاية، بل مضحك أيضًا لو قورن بتعداد الصين الضخم، ونسب الإحصاءات الرسمية التي تصدر عن كل إقليم على حدة، وتوضح نسب كل قومية وديانة، والحق أن تعداد المسلمين في الصين يفوق الـ ١٥٠ مليون مسلم صيني ينتمون إلى عشر قوميات منها الهوى، والكاذاق، والطاجيك، والغرغيز، ومنهم الإيجور الذين يمثلون رأس الحربة المسلمة في مواجهة الطغيان الشيوعي، ومسلمي الصين يواجهون أشد صنوف الاضطهاد والقهر ومصادرة أبسط الحقوق منذ ستين سنة أي منذ وقوع تركستان تحت يد الاحتلال الشيوعي الصيني.

وإذا كان البعض ممن لا يعرفون عن هؤلاء المسلمون شيئًا يتساءلون عن الاضطهاد والتنكيل من الصينيين البوذيين للمسلمين عمومًا والإيجور خصوصًا، فهناك العديد من الأسباب الأخرى التي تدفع مسئولوا الصين للضغط الدائم على الإقليم وسكانه منها:

١- المساحة الضخمة للإقليم والتي تبلغ ١,٨ مليون كم٢ أي خُمس مساحة الصين.

٢- الموقع الجغرافي الحيوي والاستراتيجي للإقليم والذي يمثل بوابة الصين الغربية والمطلة على القارة الأسيوية ومنفذه التصديري الوحيد لآسيا، والمتاخمة أيضًا للجمهوريات الإسلامية في آسيا الوسطى.

٣- وجود ثرواث ضخمة طبيعية من المعادن والبترول والغاز الطبيعي وكان لاكتشاف البترول بكميات ضخمة بالإقليم مدعاة لزياة التشديد على الإقليم لمنع أي حركة استقلالية.

٤- إصرار مسلمي الإيجور على الحصول على كامل حقوقهم المسلوبة منذ العهد المنشورى أو الاستقلال بأي ثمن، وهم بذلك يختلفون عن سائر مسلمي الصين خارج تركستان الشرقية.

ويبقى السؤال المعتاد: أين المسلمون لما يجرى لإخوانهم الإيجور؟ قد يقول قائل: إن غفلة المسلمين لها ما يبررها، بسبب الحملة الشرسة التي يشنها الغرب على الإسلام والمسلمين، وبسبب كثرة الجراحات المفتوحة والمتأججة في العديد من البقاع، أو بسبب الانهيار الاقتصادي والعلني.

واليوم يتعرض مسلمو الصين «من الإيجور لحملة صينية شرسة سقط خلالها الآلاف من القتلى والجرحى والمعتقلين، وما شهدته الأحداث الدامية بين قومية الهان البوذية بحق مسلمي الإقليم.

أيهبُ المسلمون في العالم لنجدة إخوانهم من مسلمي الصين، أم أنهم وكالعادة سيقفون في موقف المتفرجين حتى يقتلوا، ويذبحوا.. ونحن سنواصل - بإذن الله تعالى - الحديث عن الأقليات الإسلامية في العالم في الأعداد القادمة، والتعريف بها، اللهم قد بلغت، اللهم فاشهد.

وآخر داعوانا أن الحمد لله رب العالمين.





تفسير سورتي المسد والإخلاص

إعداد: د/ عبدالعظيم بدوي
نائب الرئيس العام

قال تعالى: «تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ (١) مَا أَغْنَى عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ (٢) سَيَصْلَى نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ (٣) وَامْرَأَتُهُ حَمَّالَةَ الْحَطَبِ (٤) فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِنْ مَسَدٍ» [المسد: ١- ٥].

عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: لما نزلت: «وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ» [الشعراء: ٢١٤] ورهْطك منهم المخلَصين، خرج رسول الله £ حتى صعد الصفا فهتف: يا صباحاه! فقالوا: من هذا ؟ فاجتمعوا إليه، فقال: أرأيتم إن أخبرتكم أن خيلاً تخرج من سفح هذا الجبل، أكنتم مصدقيّ ؟ قالوا: ما جربنا عليك كذبًا، قال: فإني نذير لكم بين يدَيْ عذابٍ شديد، قال أبو لهب: تبًا لك، ما جمعتنا إلا لهذا ؟ ثم قام، فنزلت: «تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ» (البخاري: ٤٩٧١).

والتَّبَاب: الضلال والهلاك، قال تعالى: «وَمَا كَيْدُ فِرْعَوْنَ إِلاَّ فِي تَبَابٍ»، والتبابُ أيضًا: الخسران، قال تعالى عن الأمم التي أخذها بالعذاب: «فَمَا أَغْنَتْ عَنْهُمْ آلِهَتُهُمُ الَّتِي يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ لَمَّا جَاءَ أَمْرُ رَبِّكَ وَمَا زَادُوهُمْ غَيْرَ تَتْبِيبٍ» [هود: ١٠١]، أي: تخسير، فمعنى قوله تعالى: «تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ» يعني: ضلّ وهلك، وخاب وخسر، وقوله تعالى: «وَتَبَّ» يعني: وقد خاب وخسر، فالجملة الأولى دعاءٌ عليه، والثانية تحقق بها الدعاء، ووقعت الإجابة.

وأبو لهب هو عبد العزى بن عبد المطلب، أحد أعمام النبي £ ، وأشدهم أذيةً له، وأكثرهم بغضًا له، ولدعوته، وقد أظهر كراهيته وبغضه للنبي £ ولدعوته من أول لحظة صدع فيها النبي £ بدعوته، كما مضى في حديث ابن عباس رضي الله عنهما، ومازال يحاربُ النبي £ والدعوة، ويصدّ عنه وعنها، حتى مات بعد غزوة بدر غمًا، وكان وجهه شديد الحمرة، فكناه الله تعالى بأبي لهب، ليناسب النار التي سيصلاها، حيثُ إنها أيضًا ذات لهب.

وقوله تعالى: «مَا أَغْنَى عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ» يعني ولده، والمال لا يغني عن صاحبه شيئًا في الدنيا ولا في الآخرة، أما في الدنيا فما كان أحدٌ أكثر مالاً من قارون، ومع ذلك ما أغنى عنه ماله شيئًا، قال تعالى: «فَخَسَفْنَا بِهِ وَبِدَارِهِ الْأَرْضَ فَمَا كَانَ لَهُ مِنْ فِئَةٍ يَنْصُرُونَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَمَا كَانَ مِنَ الْمُنْتَصِرِينَ» [القصص: ٨١]، وكما لم يغن المالُ عن صاحبه شيئًا في الدنيا، لن يغني عنه في الآخرة شيئًا، كما قال تعالى: «وَمَا يُغْنِي عَنْهُ مَالُهُ إِذَا تَرَدَّى» [الليل: ١١]، يعني في النار، وقد سجل الله تعالى اعتراف الإنسان بأنّ ماله لَمْ يغن عنه شيئًا في الآخرة، فقال تعالى: «وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِشِمَالِهِ فَيَقُولُ يَا لَيْتَنِي لَمْ أُوتَ كِتَابِيَهْ (٢٥) وَلَمْ أَدْرِ مَا حِسَابِيَهْ (٢٦) يَا لَيْتَهَا كَانَتِ الْقَاضِيَةَ (٢٧) مَا أَغْنَى عَنِّي مَالِيَهْ (٢٨) هَلَكَ عَنِّي سُلْطَانِيَهْ» [الحاقة: ٢٥- ٢٩]، وقال تعالى: «إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا

لَنْ تُغْنِيَ عَنْهُمْ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَأُولَئِكَ هُمْ وَقُودُ النَّارِ» [آل عمران: ١٠].

وقوله تعالى: «سَيَصْلَى نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ» أي: سيدخل أبو لهب نارًا ذات لهب، تغمره من جميع الجهات، ولهبها عظيم، قال تعالى: «إِنَّهَا تَرْمِي بِشَرَرٍ كَالْقَصْرِ (٣٢) كَأَنَّهُ جِمَالَةٌ صُفْرٌ» [المرسلات: ٣٢، ٣٣]، وستدخل معه امرأته أم جميل، أَرْوَى بنت حرب أخت أبي سفيان بن حرب، وكانت أيضًا من ألد أعداء النبي £ والدعوة، ومن أشدّ الناس بغضًا للنبي £ وللدعوة، وكانت تؤذي رسول الله £ وتعين زوجها على حرب النبي £ ، فتوعدها الله بالنار مع زوجها، فقال: «وَامْرَأَتُهُ حَمَّالَةَ الْحَطَبِ (٤) فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِنْ مَسَدٍ». وفي تفسير: «حَمَّالَةَ الْحَطَبِ». قولان:

الأول: أنها تكونُ مع زوجها أبي لهب في النار، تحمل الحطب وتُلقي عليه، لتشتعل ناره، فتكون عونًا للنار عليه، كما كانت عونًا له على النبي £ ، وبهذا تكتمل دائرة الأزواج الرباعية: فالزوجان إما مؤمنان ؛ كإبراهيم وسارة، أو كافران: كأبي لهب وأم جميل، وإما أن يكون الزوجُ مؤمنًا والزوجة كافرة: كنوح ولوط وامرأتيهما. أو يكون الزوج كافرًا والزوجة مؤمنة: كفرعون وآسية.

والقول الثاني: أن قوله تعالى: «وَامْرَأَتُهُ حَمَّالَةَ الْحَطَبِ» كناية عن مشيها بين الناس بالنميمة، التي هي نقل كلام الناس بعضهم إلى بعض على وجه الإيقاع، والإفساد بينهم، فالنمام يُشعل نارَ الحقد والعداوة بين الأحبة، فعبر عنه بحامل الحطب، وجزاؤه أن يصلى نارًا حامية، ولذا قال النبي £ : «لا يدخل الجنة نمام».

وقوله تعالى: «فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِنْ مَسَدٍ» يعني أن في عُنُق امرأة أبي لهب حبلٌ، فهي مقيدة في جهنم، تنطلق تأتي بالحطب، ثم تعود فتلقي على أبي لهب.

قال العلماء: وهذه السورة ظاهرةٌ في الدلالة على معجزة النبوة ؛ لأن الله تعالى أخبر أن أبا لهب وامرأته في النار، ومعنى ذلك أنهما لن يؤمنا أبدًا، وقد كان نزولُ هذه السورة في أول أمر الدعوة، وكانوا حريصَين على إبطالها بأيّة حيلة، ومع ذلك لم يفكّرا ولا أحدُهما في إعلان الإيمان ولو نفاقًا، ليُبطلا ما قاله الله وبلغه رسوله £ ، فثبت بهذا صدق النبي £ وأنه: «مَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى (٣) إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى» [النجم: ٣، ٤].

تفسير سورة الإخلاص

قال تعالى: «قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ (١) اللَّهُ الصَّمَدُ (٢) لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ (٣) وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ» [الإخلاص: ١-٤].

هذه سورةُ الإخلاص، وهي سورةُ التوحيد - توحيد الأسماء والصفات -، كان النبي £ يقرأُ بها مع سورة الكافرون في ركعتي الطواف، وركعتي الفجر، وفي الأُخريين من الوتر، إذا أوتر بثلاث، كما كان يقرؤها مع المعوذتين دبر الصلاة، وعند النوم كان يجمع كفيه فينفث فيهما، ثم يقرأ بهذه السور الثلاث، ويمسح وجهه وما استقبل من جسده، وكان إذا مرض فعل مثل ذلك، وأمر بقراءتها ثلاثًا في الصباح والمساء.

ومما جاء في فضل سورة الإخلاص: عن أنس رضي الله عنه قال: كان رجلٌ من الأنصار يؤمّهم في مسجد قباء، فكان كلما افتتح سورةً يقرأ بها لهم في الصلاة مما يقرأ به افتتح بـ «قل هو الله أحد»، حتى يفرغ منها، ثم يقرأ سورة أخرى معها، وكان يصنع ذلك في كل ركعة، فكلمه أصحابه فقالوا: إنك تفتتح بهذه السورة، ثم لا ترى أنها تجزئك حتى تقرأ بأخرى، فإما أن تقرأ بها، وإما أنْ تدعها وتقرأ بأخرى، فقال: ما أنا بتاركها، وإن أحببتم أن أؤمكم بذلك فعلتُ، وإن كرهتم تركتكم، وكانوا يرون أنه من أفضلهم، وكرهوا أن يؤمّهم غيره، فلما أتاهم النبي £ أخبروه الخبر، فقال: يا فلان، ما يمنعك أن تفعل ما يأمرك به أصحابك ؟ وما يحملك على لزوم هذه السورة في كل ركعة ؟ فقال: إني أحبها. قال: حبك إياها أدخلك الجنة» [أخرجه الترمذي وصححه الألباني وأخرجه البخاري تعليقاً].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله £ : «احشدُوا فإنِّي سأقرأ عليكم ثلث القرآن». فحشدَ مَنْ حَشَد، ثم خرج نبي الله £ فقرأ: «قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ»، ثم دخل، فقال بعضنا لبعض: قال رسول الله £ : «فإني سأقرأ عليكم ثُلُثَ القرآن». إني لأرى هذا خبرًا جاءه من السماء، فذاك الذي أدخله ثم

خرج نبي الله £ فقال: «إني قلتُ سأقرأ عليكم ثلثَ القرآن، ألا إنها تعدل ثلثَ القرآن» (مسلم: ٨١٢).

وإنما كانت «قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ» تعدل ثلث القرآن لأنّ القرآن كله، مِنْ أولّه إلى آخره، توحيد، فإنه: «إما خبر عن الله وأسمائه وصفاته، وهو التوحيد العلميُّ الخبريُّ، وإما دعوةٌ إلى عبادته وحده لا شريك له، وخَلْع ما يُعْبَدُ من دونه، فهو التوحيد الإرادي الطلبي، وإما أمرٌ ونهي وإلزام بطاعته، فذلك من حقوق التوحيد ومكملاته، وإما خبرٌ عن إكرامه لأهل توحيده، وما فعل بهم في الدنيا، وما يكرمهم به في الآخرة، فهو جزاءُ توحيده، وإما خبر عن أهل الشرك، وما فعل بهم في الدنيا من النكال، وما يحلّ بهم في العقبى من العذاب، فهو جزاءُ من خرج عن حكم التوحيد، فالقرآن كله في التوحيد وحقوقه وجزائه، وفي شأن الشرك وأهله وجزائهم». [شرح الطحاوية: ٨٨].

والتوحيد ثلاثةُ أقسام: توحيد الربوبية، وتوحيد الألوهية، وتوحيد الأسماء والصفات، و«قل هو الله أحد» قد اشتملت على توحيد الأسماء والصفات، فكانت ثلث القرآن، والله أعلم.

«قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ» أحدٌ في ذاته فلا ثاني له، وأحدٌ في صفاته فلا شبيه ولا نظير له، وأحدٌ في أفعاله فلا شريك له، ولا راد لقضائه، ولا معقّب لحكمه، ولا غالب لأمره، «إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ» [يس: ٨٢].

«اللَّهُ الصَّمَدُ» قالوا في تفسير الصمد: الذي لا جوفَ له، الذي يصمدُ إليه الخلائق في حوائجهم ومسائلهم، الباقي بعد فناء خلقه، السيد الذي قد كَمُل في سؤدده، والشريفُ الذي قد كمل في شرفه، والعظيم الذي قد كمل في عظمته، والحليمُ الذي قد كمل في حلمه؛ والعليمُ الذي قد كمل في علمه، والحكيمُ الذي قد كمل في حكمته، وهو الذي قد كمل في أنواع الشرف والسؤدد، وكلها ألفاظٌ صحيحةٌ، وكلها صفاتُ ربنا الصمد سبحانه.

«لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ» يعني: ما كان لله من ولد ؛ وما كان له من والد، وإنّما قدم نفي الولد على نفي الوالد، والأصل العكس، لأنه لم يدع أحدٌ ألبتة أن لله والدًا، وإنما ادّعى قومٌ أن لله ولدًا، «وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ وَقَالَتِ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ ذَلِكَ قَوْلُهُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ يُضَاهِئُونَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ» [التوبة: ٣٠].

كما أن مشركي العرب ادّعوا أن الملائكة بناتُ الله من امرأةٍ من الجنة، «وَجَعَلُوا بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْجِنَّةِ نَسَبًا» [الصافات: ١٥٨]، تعالى الله عما يقول الظالمون علوًا كبيرًا، ولقد كثُرَ في القرآن نَفي الولد عن الله سبحانه، وذمّ الذين قالوا ذلك، قال تعالى: «الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجًا (١) قَيِّمًا لِيُنْذِرَ بَأْسًا شَدِيدًا مِنْ لَدُنْهُ وَيُبَشِّرَ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا حَسَنًا (٢) مَاكِثِينَ فِيهِ أَبَدًا (٣) وَيُنْذِرَ الَّذِينَ قَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا (٤) مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ وَلَا لِآبَائِهِمْ كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ إِنْ يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا» [الكهف: ١-٥]، «وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا (٨٨) لَقَدْ جِئْتُمْ شَيْئًا إِدًّا (٨٩) تَكَادُ السَّمَوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنْشَقُّ الْأَرْضُ وَتَخِرُّ الْجِبَالُ هَدًّا (٩٠) أَنْ دَعَوْا لِلرَّحْمَنِ وَلَدًا (٩١) وَمَا يَنْبَغِي لِلرَّحْمَنِ أَنْ يَتَّخِذَ وَلَدًا (٩٢) إِنْ كُلُّ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا آتِي الرَّحْمَنِ عَبْدًا» [مريم: ٨٨-٩٣]، فليس به حاجةٌ إلى الولد، وكل من في السماوات والأرض له عبد، كما قال تعالى: «قَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ هُوَ الْغَنِيُّ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ إِنْ عِنْدَكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ بِهَذَا أَتَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ (٦٨) قُلْ إِنَّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ (٦٩) مَتَاعٌ فِي الدُّنْيَا ثُمَّ إِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ ثُمَّ نُذِيقُهُمُ الْعَذَابَ الشَّدِيدَ بِمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ» [يونس: ٦٩- ٧٠]، فالغني الذي له ما في السماوات وما في الأرض لا يحتاج إلى ولد، إن الإنسان يحتاج إلى الولد ليبقى ذكْرُه بولده بعد موته، والله حيٌّ لا يموت، والإنسان يحتاج إلى الولد ليأكل من كسبه ويستغني به، والله هو الذي يُطعِمُ ولا يُطْعَم، وهو الرزاق ذو القوة المتين، وهو الغني الذي «لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَمَا تَحْتَ الثَّرَى» [طه: ٦].

والإنسان يحتاج إلى الولد ليستكثر به من قلة، ويقوى به من ضعف، والله هُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِه.

«وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ» ليس له ندّ ولا نظير، ولا شبيه ولا عديل، «لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ» [الشورى: ١١].

عن بُريدة رضي الله عنه: أن رسول الله £ سمع رجلاً يقول: اللهم إني أسألك بأني أشهد أنك أنت الله، لا إله إلا أنت، الأحد الصمد، الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوًا أحد، فقال: «والذي نفسي بيده، لقد سأل الله باسمه الأعظم، الذي إذا دُعي به أجاب، وإذا سُئل به أعطى». [الترمذي: ٣٥٤٢، وأبو داود: ١٤٧٩، وابن ماجه: ٣٨٥٧].

اللهم إني أسألك بأني أشهد أنك أنت الله، لا إله إلا أنت الأحد الصمد، الذي لم يلد ولم يولد، ولم يكن له كفوًا أحد، أن تغفر لنا ذنوبنا، وتكفّر عنا سيئاتنا، وأن تدخلنا الجنة مع الأبرار، وأن تخرجنا مما نحن فيه، اللهم ارفع مقتك وغضبك عنا، ولا تسلط علينا بذنوبنا من لا يخافك ولا يرحمنا، اللهم اجمع شمل المسلمين، ووحد صفوفهم، وقوّ شوكتهم وعزيمتهم، وأعنهم على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك، وهيء لهم من أمرهم رشدًا، اللهم من أراد الإسلام والمسلمين بخير فوفقه لكل خير، ومن أرادهم بسوء فخذه أخذ عزيز مقتدر.

والحمد لله رب العالمين.



الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على نبي الهدى والرحمة، نبينا محمد وآله وصحبه أجمعين والتابعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

وبعـــد:

عن عمران بن حصين رضي الله عنهما عن النبي £ أنه سَأَلَه – أو سأَلَ رجلاً وعمْرانُ يَسْمَعُ – فقال : «يا فلانُ ، أمَا صُمْتَ سَرَرَ هَذا الشهر؟» قال : أظنه يعني رمضان . قال الرجل : لا ، يا رسول الله . قال : «فإذا أفطرت فصم يومين».

لم يقل الصلت: أظنه يعني رمضان . قال أبو عبد الله (يعني البخاري): وقال ثابت عن مطرف عن عمران عن النبي £ «من سرر شعبان».

هـذا الحديث أخرجه الإمام البخاري في صحيحه في كتاب الصوم (باب الصوم من آخر الشهر) برقم (١٩٨٣)، وأخرجه الإمام مسلم في الصحيح في كتاب الصيام (باب استحباب صيام ثلاثة أيام من كل شهر وصوم يوم عرفة وعاشوراء والاثنين والخميس) برقم (١١٦١)، وفي باب «صوم سرر شعبان» حديث (١٩٩ في الصيام).

كما أخرجه الإمام أحمد في «مسنده» بالأرقام (٤ / ٤٢٨، ٤٣٩، ٤٤٣، ٤٤٦)، وأخرجه الإمام أبو داود في كتاب الصوم، باب في التقدم برقم (٢٣٢٨)، وأخرجه الإمام الدارمي في سننه في كتاب الصوم باب (٣٥)، (الصوم من سرر الشهر) برقم (١٧٤٢).

شرح الحديث

أورد البخاري هذا الحديث تحت باب (الصوم من آخر الشهر؛ قال الحافظ في الفتح : قال الزين بن المنير: أطلق الشهر، وإن كان الذي يتحرر من الحديث أنه شهر مقيد وهو شعبان إشارة منه إلى أن ذلك لا يختص بشعبان، بل يؤخذ من الحديث الندب إلى صيام أواخر كل شهر ليكون عادة للمكلف ، فلا يعارضه النهي عن تقدم رمضان بيوم أو يومين ؛ لقوله فيه : «إلا رجل كان يصوم صومًا فليصمه».

قوله : «أنه سأله أو سأل رجلاً وعمران يسمع» بين الحافظ ابن حجر أن الشك من مطرف بن عبدالله، فإن ثابتًا رواه عنه بنحوه على الشك أيضًا أخرجه مسلم، وأخرجه من وجهين آخرين عن مطرف بدون شك على الإبهام (أنه قال رجل) زاد أبو عوانة في مستخرجه: «من أصحابه»، ورواه الإمام أحمد من طريق سليمان التيمي به «قال لعمران» بغير شك.

قوله : «يا فلان» كذا للأكثر، وفي نسخة من رواية أبي ذر «يا أبا فلان» بأداة الكنية.

قوله : «أما صمت سرر هذا الشهر؟» في رواية مسلم عن شيبان عن مهدي : «سُرَّة» بضم السين وتشديد الراء بعدها هاء. قال النووي في شرح مسلم: هكذا هو في جميع النسخ (من سُرَّة هذا الشهر بالهاء بعد الراء). وتعقبه الحافظ ابن حجر بقوله : والذي رأيته في رواية أبي بكر بن ياسر الجياني، ومن خطه نقلت «سرر هذا الشهر» كباقي الروايات، وفي رواية ثابت المذكورة «أَصُمْتَ من سَرَرِ شعبان شيئًا؟» قال: لا .

قوله : «قال : أظنه يعني رمضان» هذا الظن من أبي النعمان ؛ لتصريح البخاري في آخره بأن ذلك لم يقع في رواية الصلت ، وكأن ذلك وقع من أبي النعمان لما حدث به البخاري ، وإلا فقد رواه الجوزقي من طريق أحمد بن يوسف السلمي عن أبي النعمان بدون ذلك ، وهو الصواب . ونقل



الحميدي عن البخاري أنه قال : إن شعبان أصح، وقيل : إن ذلك ثابت في بعض الروايات في الصحيح ، وقال الخطابي : ذكر رمضان هنا وهم ؛ لأن رمضان يتعين صوم جميعه، وكذا قال الداودي وابن الجوزي ، ورواه مسلم أيضًا من طريق ابن أخي مطرف بلفظ : «هل صمت من سرر هذا الشهر شيئًا؟» يعني شعبان . قال : ويحتمل أن يكون قوله : «رمضان» في قوله : «يعني رمضان» ظرفًا للقول الصادر منه £ - أي كان هذا القول في رمضان - وليس ظرفًا لصيام المخاطب بذلك، فيوافق رواية الجريري عن مطرف ، فإن فيها عند مسلم : «فإذا أفطرت من رمضان فصم يومين مكانه» .

قال الحافظ ما ملخصه : السرَرُ بفتح السين المهملة ويجوز كسرها جمع سُرَّة . ويقال أيضًا سرار بفتح أوله وكسره ، ورجح الفَرَّاءُ الفتح ، وهو الاستسرار.

المراد بالسرر

قال أبو عبيد والجمهور : المراد بالسرر هنا آخر الشهر، وذلك لاستسرار القمر فيها وهي ليلة ثمان وعشرين وتسع وعشرين وثلاثين . ونقل الخطابي عن الأوزاعي هذا كالجمهور.

ونقل أبو داود عن الأوزاعي وسعيد بن عبد العزيز أن سرره أوله .

وقيل السرر وسط الشهر . حكاه أبو داود أيضًا ورجحه بعضهم ، ووجهه بأن السرر جمع سرة، وسرة الشيء وسطه، ويؤيده الندب إلى صيام الأيام البيض وهي وسط الشهر، وأنه لم يرد في صيام آخر الشهر ندب، بل ورد فيه نهي خاص وهو آخر شعبان لمن صامه لأجل رمضان، ورجحه النووي بأن مسلمًا أفرد الرواية التي فيها سرة هذا الشهر عن بقية الروايات وأردف بها الروايات التي فيها الحض على صيام البيض وهي وسط الشهر كما تقدم.

قال الحافظ : لكني لم أره في جميع طرق الحديث باللفظ الذي ذكره وهو «سُرَّة» بل هو عند أحمد من وجهين بلفظ «سرار» ، وأخرجه من طرق عن سليمان التيمي في بعضها «سرر» ، وفي بعضها «سرار»، وهذا يدل على أن المراد آخر الشهر.

هل يصام آخر شعبان؟

لقد ورد النهي عن تقدم رمضان بصيام يوم أو يومين كما في حديث أبي هريرة المتفق عليه عن النبي £ قال : «لا يتقدمن أحدكم رمضان بصوم يوم أو يومين إلا أن يكون رجل كان يصوم صومًا فليصم ذلك اليوم» (خ: ١٩١٤، م: ١٠٨٢)، وفي الترمذي عن أبي هريرة أيضًا قال : قال النبي £ : «لا تقدموا الشهر بيوم ولا بيومين إلا أن يوافق ذلك صومًا كان يصومه أحدكم، صوموا لرؤيته وأفطروا لرؤيته فإن غُمَّ عليكم فعدوا ثلاثين ثم أفطروا». قال الترمذي عقب روايته: حديث حسن صحيح، والعمل على هذا عند أهل العلم ؛ كرهوا أن يتعجل الرجل بصيام قبل دخول شهر رمضان لمعنى رمضان ، وإن كان رجل يصوم صومًا فوافق صيامُه ذلك فلا بأس به عندهم . ونقل صاحب تحفة الأحوذي عن السيوطي . قوله : إنما نهى عن فعل ذلك لئلا يصوم احتياطًا لاحتمال أن يكون من رمضان ، وهو معنى قول المصنف «لمعنى رمضان» ، وإنما ذكر اليومين لأنه قد يحصل الشك في يومين بحصول الغيم أو الظلمة في شهرين أو ثلاثة، فلذلك عقب ذكر اليوم باليومين.

قال : والحكمة في النهي أن لا يختلط صوم الفرض بصوم نفل قبله ولا بعده حذرًا مما صنعت النصارى في الزيادة على ما افترض عليهم برأيهم الفاسد. اهـ.

وقال الحافظ في الفتح : والحكمة فيه - أي في النهي عن الصوم قبل رمضان بيوم أو يومين - التَّقَوِّي بالفطر لرمضان ليدخل فيه بقوة ونشاط ، وهذا فيه نظر لأن مقتضى الحديث أنه لو تقدمه بصيام ثلاثة أيام أو أربعة أيام جاز . وقيل : الحكمة فيه خشية اختلاط النفل بالفرض، وفيه نظر أيضًا لأنه يجوز لمن له عادة كما في الحديث . وقيل : لأن الحكم علق بالرؤية ، فمن تقدمه بيوم أو يومين فقد حاول الطعن في ذلك الحكم ، وهذا هو المعتمد ، ومعنى الاستثناء أن من كان له ورد فقد أذن له فيه لأنه اعتاده وألفه ، وترك المألوف شديد، وليس ذلك من استقبال رمضان في شيء . قال : ويلتحق بذلك القضاء والنذر لوجوبهما بالأدلة القطعية على وجوب الوفاء بهما ، وفي الحديث رد على من يرى تقديم الصوم على الرؤية

كالرافضة، ورد على من قال بجواز النفل المطلق . أي في آخر شعبان.

الصيام في النصف الثاني من شعبان

في حديث النهي عن تقدم رمضان بصوم يوم أو يومين منع إنشاء الصوم قبل رمضان إذا كان لأجل الاحتياط ، فإن زاد على ذلك – قال الحافظ –: فمفهومه الجواز، وقيل يمتد المنع إلى ما قبل ذلك ، وبه قطع كثير من الشافعية، وأجابوا عن الحديث بأن المراد منه التقديم بالصوم فحيث وجد منع ، وقالوا : إنما اقتصر على يوم أو يومين لأنه الغالب ممن يقصد ذلك . وقالوا: أمد المنع إلى السادس عشر من شعبان لحديث العلاء بن عبد الرحمن عن أبيه عن أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعًا: «إذا انتصف شعبان فلا تصوموا حتى يكون رمضان». (أخرجه أحمد وأصحاب السنن الأربعة ، وصححه الألباني في صحيح الجامع برقم ٣٩٧).

قال الحافظ : وصححه ابن حبان وغيره ، وقال الروياني من الشافعية : يحرم التقدم بيوم أو يومين لحديث النهي عن تقدم رمضان بصوم يوم أو يومين ، ويكره التقدم من نصف شعبان للحديث الآخر. وقال الجمهور: يجوز الصوم تطوعًا بعد النصف من شعبان ، وضعّفوا الحديث الوارد فيه، أنكره أحمد وابن معين ، وقد استدل البيهقي بحديث النهي عن التقدم على ضعفه . فقال : الرخصة في ذلك بما هو أصح من حديث العلاء ، وكذا صنع قبله الطحاوي، واستظهر بحديث عمران بن حصين «الذي معنا في بداية المقال» ، ثم جمع بين الحديثين بأن حديث العلاء محمول على من يضعفه الصوم، وحديث النهي عن تقدم رمضان مخصوص بمن يحتاط بزعمه لرمضان وهو جمع حسن. اهـ.

صيام النبي £ في شعبان

عن أم المؤمنين عائشة زوج النبي £ ورضي الله عنها قالت : كان رسول الله £ يصوم حتى نقول : لا يفطر، ويفطر حتى نقول : لا يصوم ، وما رأيْت النبي £ استكمل صيام شهر إلا رمضان ، وما رأيته أكثر صيامًا منه في شعبان . (متفق عليه).

وعنها رضي الله عنها قالت : لم يكن النبي £ يصوم شهرًا أكثر من شعبان ، فإنه كان يصوم شعبان كله ، وكان يقول : «خذوا من العمل ما تطيقون ، فإن الله لا يمل حتى تملوا» . وأحب الصلاة إلى النبي £ ما دُومَ عليه وإن قل . وكان إذا صلى صلاة داوم عليها . (متفق عليه).

وقد ورد الحديثان عن أم المؤمنين أم سلمة رضي الله عنها أخرجهما النسائي ، وقال الترمذي عقب طريق سالم بن أبي الجعد لهذا الحديث : هذا إسناد صحيح ، ويحتمل أن يكون أبو سلمة – أي ابن عبد الرحمن – رواه عن كل من عائشة وأم سلمة. قال الحافظ في الفتح : ويؤيد هذا أن محمد بن إبراهيم التيمي رواه عن أبي سلمة عن عائشة تارة وعن أم سلمة تارة أخرى ، أخرجه النسائي . وقول عائشة: كان يصوم شعبان إلا قليلاً ، وقولها : بل كان يصوم شعبان كله . معنى ذلك أنه £ كان يصوم معظم شعبان ، وقد نقل الترمذي عن ابن المبارك أنه قال : جائز في كلام العرب إذا صام أكثر الشهر أن يقول صام الشهر كله . ويقال : قام فلان ليلته أجمع، ولعله قد تعشى واشتغل ببعض أمره، قال الترمذي : كأن ابن المبارك جمع بين الحديثين بذلك. قال الحافظ عقب نقله لهذا الكلام : وحاصله أن الرواية الأولى مفسرة للثانية مخصصة لها ، وأن المراد بالكل الأكثر وهو مجاز قليل الاستعمال ، واستبعده الطيبي، قال: لأن الكل تأكيد لإرادة الشمول ودفع التجوز ، فتفسيره بالبعض مناف له ، قال : فيحمل على أنه كان يصوم شعبان كله تارة ، ويصوم معظمه أخرى ، لئلا يتوهم أنه واجب كله كرمضان ، وقيل : المراد بقولها : «كله» أنه كان يصوم من أوله تارة ومن آخره أخرى، ومن أثنائه طورًا، فلا يخلي شيئًا منه من صيام ولا يخص بعضه بصيام دون بعض .

وصوب الحافظ هذا ، وقال : ويؤيده رواية عبد الله بن شقيق عن عائشة عند مسلم وسعد بن هشام عنها عند النسائي ولفظه : «ولا صام شهرًا كاملاً قط منذ قدم المدينة غير رمضان».

وقد اختلف العلماء في الحكمة في إكثاره £ من الصوم في شعبان على أقوال ؛ منها :

أولاً : قيل : كان يشتغل عن صوم الثلاثة الأيام من كل شهر لسفر أو غيره فتجتمع فيقضيها في

شعبان.

ثانيًا : وقيل : كان يصنع ذلك لتعظيم رمضان.

ثالثًا: وقيل : إن الحكمة في ذلك أن نساءه كن يقضين ما عليهن من رمضان في شعبان فيصوم معهن.

رابعًا : وقيل الحكمة في ذلك أنه يعقبه رمضان وصومه مفترض - وكان يصوم في شعبان قدر ما يصوم في شهرين غيره لما يفوته من التطوع بذلك في أيام رمضان.

خامسًا : قال الحافظ : والأولى في ذلك ما جاء في حديث أصح مما مضى - يشير إلى أحاديث ضعيفة أيد بها أصحاب الأقوال السابقة أقوالهم - أخرجه أبو داود والنسائي وصححه ابن خزيمة عن أسامة بن زيد قال : «ذلك شهر يغفل الناس عنه بين رجب ورمضان، وهو شهر ترفع فيه الأعمال إلى رب العالمين ، فأحب أن يُرفع عملي وأنا صائم».

ما ابتدعه الناس في ليلة النصف من شعبان

كتب الشيخ أحمد عبد الرحمن البنا - صاحب الفتح الرباني لترتيب مسند الإمام أحمد بن حنبل الشيباني - وهو والد الأستاذ حسن البنا رحمه الله ، وكذلك والد جمال البنا المخرب الكبير ، وليت أولاده اقتدوا به في تمسكه بالسنة ونبذ البدعة وفي جهوده في حديث رسول الله £ - كتب محذرًا مما ابتدعه الناس في ليلة النصف من شعبان قال : اعلم أرشدني الله وإياك إلى العمل بكتابه وسنة رسوله £ أن ليلة النصف من شعبان فاضلة ، ورد في فضلها أحاديث لا بأس بها ، وقد تغالى الناس في فضائل ليلة النصف من شعبان فأوردوا فيها أحاديث بعضها شديد الضعف ، وبعضها موضوع لا أصل له، وابتدعوا لها بدعًا شتى ، لم ترد في كتاب الله ولا سنة رسوله £ ، والدين بريء منها، فمن الأحاديث الشديدة الضعف ، ما رواه ابن ماجه في فضل صوم يوم النصف من شعبان عن علي رضي الله عنه قال: قال رسول الله £ : إذا كان ليلة النصف من شعبان فقوموا ليلها وصوموا نهارها، فإن الله ينزل فيها لغروب الشمس إلى السماء الدنيا. فيقول: ألا من مستغفر فأغفر له، ألا مسترزق فأرزقه، ألا مبتلى فأعافيه ، ألا كذا ، ألا كذا ، حتى يطلع الفجر».

هذا الحديث في سنده أبو بكر بن عبد الله بن محمد بن أبي سبرة القرشي العامري المدني : قيل اسمه عبد الله . وقيل : محمد ، وقد ينسب إلى جده ، رموه بالوضع - كذا في التقريب .

قال الذهبي في الميزان : ضعفه البخاري وغيره، وروى عبد الله وصالح ابنا الإمام أحمد عن أبيهما رحمهم الله ، قال : كان يضع الحديث ، وقال النسائي: متروك . اهـ .

ومن الأحاديث الموضوعة ما روي عن علي أيضًا، وفيه فإن أصبح في ذلك اليوم صائمًا كان كصيام ستين سنة ماضية وستين سنة مستقبلة . أورده ابن الجوزي في «الموضوعات»، وقال: موضوع وإسناده مظلم.

ومن البدع ما أحدثوه من صلاة مخصوصة وأدعية وغيرها ما أنزل الله بها من سلطان، ومن أقبحها الدعاء المسمى بدعاء ليلة النصف من شعبان الذي أوله : «اللهم يا ذا المن ولا يمن عليك» ، وهو يقرأ بعد صلاة المغرب ثلاث مرات مع سورة يس، الأولى بنية طول العمر . والثانية بنية اتساع الرزق. والثالثة بنية الاستغناء عن الناس ، وقد عمت به البلوى في القطر المصري فصار يقرأ علنًا بأعلى صوت في مساجد الأوقاف فضلاً عن المساجد الأخرى، ومن عظيم البلوى أن أئمة المساجد العلماء هم الذين يلقنونه للعوام فيرددونه وراءهم بأعلى صوت ، وفي ذاك الوقت تضيق المساجد بمن فيها لأنه لا يتخلف عنها أحد من المصلين وغيرهم إلا النادر لاعتقادهم أن قراءة هذا الدعاء تطيل العمر وتوسع الرزق وتغني عن الناس مع ما فيه من مخالفة كتاب الله عز وجل وسنة رسوله £ والتخليط في قراءة سورة يس بعد الدعاء ، فلا حول ولا قوة إلا بالله .

اللهم أرشد العلماء إلى العمل بكتابك واتباع سنة نبيك محمد £ ليقتدي بهم العوام ويظهر رونق الإسلام .. آمين. اهـ.

وصلى الله وسلم وبارك على عبده ورسوله محمد وآله وصحبه أجمعين ، والحمد لله رب العالمين.



باب الفقه

أحكام الطهارة

الحلقة السابعة

سنن الفطرة

إعداد: د/ حمدي طه

فقد تكلمنا في العدد السابق عن سنن الفطرة، فذكرنا المقصود بها وأهميتها في حياتنا، وأوردنا بعض الأحاديث التي بينت لنا تلك السنن، ثم بدأنا بالحديث عن قضاء الحاجة كأحد هذه السنن وما يتعلق به من أحكام، ونكمل في هذا العدد الحديث عن الآداب المتعلقة بقضاء الحاجة، فنقول وبالله التوفيق:

إن هناك آداباً على المسلم أن يتبعها عند قضاء الحاجة من بداية الشروع فيها وحتى الانتهاء منها، نذكرها بحسب ترتيب أفعالها ونبدأ بالآداب التي تراعى عند قضاء الحاجة في الأماكن المعدة لذلك:

١- أن لا يستصحب ما فيه ذكر الله تعالى: فعليه إذا أراد الدخول لقضاء الحاجة أن يضع ما معه من مصحف ونحوه خارج مكان قضاء الحاجة ؛ لما روى عن أنس «أن النبي ﷺ كان إذا دخل الخلاء وضع خاتمه». رواه أصحاب السنن الأربعة، وقال النسائي: هذا حديث غير محفوظ، وقال أبو داود: هذا حديث منكر، وضعفه غير واحد من أهل العلم، انظر ضعيف سنن أبي داود للألباني، وقد صححه الترمذي والمنذري وغيرهما، (انظر: نيل الأوطار للشوكاني ١ / ٢١٨).

فمن صحح الحديث وحسنه قال بالكراهة، ومن قال: إنه لا يصح قال بعدم الكراهة، لكن الأفضل أن لا يدخل مصطحباً ما فيه ذكر الله (الشرح الممتع للشيخ محمد بن صالح العثيمين ١ / ٩٠).

واحتج بعض أهل العلم لذلك بقوله تعالى: «وَمَنْ يُعَظِّمْ حُرُمَاتِ اللَّهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ عِنْدَ رَبِّهِ» [الحج: ٣٠]، لأن دخول الخلاء بما فيه ذكر الله وخاصة المصحف فيه نوع من الإهانة، فإذا خاف الإنسان ضياع ذلك الشيء أو المصحف فلا حرج في حمله معه أثناء قضاء الحاجة دفعًا للضرر المترتب على ضياعه.

٢- الدعاء عند دخول الخلاء: فيبدأ بالتسمية ثم يستعيذ بالله من الخبث والخبائث، والخُبث جمع خبيث وهم ذكران الشياطين، والخبائث جمع خبيثة، وهن إناث الجن، أما دليل التسمية فما رواه علي بن أبي طالب رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال: «ستر ما بين أعين الجن وعورات بني آدم إذا دخل أحدهم الخلاء أن يقول: بسم الله». (أخرجه الترمذي برقم ٦٠٦، وصححه الألباني).

وأما دليل الاستعاذة فما رواه أنس بن مالك رضي الله عنه قال: كان رسول الله £ إذا دخل الخلاء قال: «اللهم إني أعوذ بك من الخبث والخبائث». متفق عليه.

٣- أن يقدم رجله اليسرى عند الدخول: وهذا الأدب وإن لم يرد فيه نص خاص، إلا أنه من الآداب المتفق عليها بين أهل العلم، فقد قاسوه على غيره يقول الإمام النووي: وهذه قاعدة معروفة وهي أن ما كان من التكريم بديء فيه باليمين، وخلافه باليسار. (المجموع ٢ / ٩١).

وقال الشيخ ابن عثيمين: وهذه مسألة قياسية، فإذا كانت اليمنى تقدم في باب التكريم كدخول المسجد، ولبس الثياب وغير ذلك، واليسرى تقدم في عكسه، كالخروج من المسجد فإنه ينبغي أن تقدم عند دخول الخلاء اليسرى. (الشرح الممتع ١ / ٨٥ بتصرف).

٤- ألا يرفع ثوبه حتى يدنو من الأرض: والمراد هنا عدم كشف العورة مرة واحدة، بل شيئًا فشيئًا مبالغة في ستر العورة لما رواه عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أن النبي £ كان إذا أراد الحاجة لا يرفع ثوبه حتى يدنو من الأرض. (رواه أبو داود برقم ١٤).

٥- ألا يتكلم أثناء قضاء الحاجة: لحديث المهاجر بن قنفذ رضي الله عنه: «أنه أتى النبي £ وهو يبول فسلم عليه فلم يرد عليه حتى توضا، ثم اعتذر إليه فقال: إني كرهت أن أذكر الله عز وجل إلا على طهر، أو قال: على طهارة». (رواه أبو داود برقم ١٧).

وله شاهد من حديث ابن عمر عند مسلم، ولكني ذكرت هذا الحديث لما فيه من زيادة معنى. قال الشيخ ابن عثيمين: لا ينبغي أن يتكلم حال قضاء الحاجة إلا لحاجة كما قال الفقهاء رحمهم الله؛ كأن يرشد أحدًا أو كلمه أحد لا بد أن يرد عليه أو كان له حاجة في شخص وخاف أن ينصرف أو طلب ماء فلا بأس. (الشرح الممتع ١ / ٩٥).

٦- ألا يبول في الماء الراكد: فينبغي لقاضي الحاجة ألا يقضي حاجته في الماء الراكد وهو الماء غير الجاري أي الذي لا يتحرك، لما ثبت من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنهما عن النبي £ أنه نهى أن يبال في الماء الراكد. رواه مسلم. وللحديث شاهد في الصحيحين من حديث أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعًا.

٧- ألا يبول في مستحمه: لما روى عبد الله بن مغفل رضي الله عنه عن النبي £ قال: «لا يبولن أحدكم في مستحمه، ثم يتوضأ فيه فإن عامة الوسواس منه». (رواه أحمد في مسنده ٥ / ٥٦، وأبو داود بلفظ ثم يغتسل فيه وصححه الألباني، انظر: صحيح سنن أبي داود حديث رقم ٢٧).

قال الإمام الشوكاني: والحديث يدل على المنع من البول في محل الاغتسال لأنه يبقى أثره فإذا انتضح إلى المغتسل شيء من الماء بعد وقوعه على محل البول نجسه فلا يزال عند مباشرة الاغتسال متخيلاً لذلك فيفضي به إلى الوسوسة التي علل النبي £ النهي بها. وقد قيل إذا كان للبول مسلك ينفذ فيه فلا كراهة. (نيل الأوطار ١ / ٢٤٦).

قلت: إن هذا النهي لا يتوجه إلى أكثر الأماكن المعدة للاستحمام الآن لأنها لها مصارف فإذا بال فيها ثم اهريق على هذا البول الماء صار المكان طاهرًا وجاز الاغتسال أو الوضوء فيه.

٨- ألا يبول قائمًا، ذهب جمهور الفقهاء إلى كراهة البول قائمًا لما ثبت من حديث عائشة رضي الله عنها قالت: «من حدثكم أن النبي £ كان يبول قائمًا، فلا تصدقوه، وما كان يبول إلا قاعدًا». (رواه الترمذي برقم ١٢، وابن ماجه برقم ٣٠٧).

وذهب البعض وانتصر له ابن حجر في الفتح – إلى جواز البول قائمًا وقاعدًا واحتجوا بما ثبت من حديث حذيفة رضي الله عنه قال: «أتى النبي £ سُباطة قوم فبال قائمًا». متفق عليه. والسُباطة هي المزبلة والكناسة، قال الحافظ ابن حجر: والأظهر أنه – أي النبي £ – فعل ذلك لبيان الجواز، وكان أكثر أحواله البول عن قعود، وقد ثبت عن عمر وعلي وزيد بن ثابت وغيرهم أنهم بالوا قيامًا، وهو دال على الجواز من غير كراهة إذا أمن الرشاش. (فتح الباري ١ / ٣٩٤).

٩- استقبال القبلة واستدبارها عند قضاء الحاجة: اختلف أهل العلم في هذه المسألة اختلافًا كبيرًا حتى عد الإمام الشوكاني مذاهبهم فبلغت ثمانية. (انظر نيل الأوطار ١ / ٢٢٨).

نذكر منها أربعة لأنها أقواها دليلاً: المذهب الأول: لا يجوز استقبال القبلة واستدبارها لا في الصحارى ولا في البنيان، وهو قول أبي أيوب الأنصاري وبعض التابعين وهو المشهور عن أبي حنيفة وأحمد (فتح الباري لابن حجر ١ / ٢٩٦).

واحتجوا بالأحاديث الصحيحة الواردة في النهي عن الاستقبال والاستدبار كحديث أبي أيوب الأنصاري عن النبي £ قال: «إذا أتيتم الغائط فلا

تستقبلوا القبلة ولا تستدبروها، ولكن شرقوا أو غربوا». قال أبو أيوب: قدمنا الشام فوجدنا مراحيض قد بنيت نحو الكعبة فننحرف عنها ونستغفر الله. متفق عليه.

وبحديث سلمان الفارسي السابق، وفيه: «نهانا رسول الله £ أن نستقبل القبلة ببول أو غائط». رواه مسلم. وغير ذلك من الأحاديث الواردة في النهي. قالوا: لأن المنع ليس إلا لحرمة القبلة، وهذا المعنى موجود في الصحارى والبنيان، ولو كان مجرد الحائل كافيًا لجاز في الصحارى لوجود الحائل من جبل أو واد أو غيرهما من أنواع الحائل. (نيل الأوطار ١ / ٢٢٩، والمجموع للنووي ٢ / ٩٦).

المذهب الثاني: الجواز في الصحاري والبنيان، وهو قول عروة بن الزبير وربيعة وداود الظاهري، واحتجوا بحديث جابر رضي الله عنه قال: نهى النبي £ أن نستقبل القبلة ببول فرأيته قبل أن يقبض بعام يستقبلها». رواه الخمسة، إلا النسائي، والحديث قد ضعفه غير واحد من أهل العلم، واحتجوا كذلك بحديث عائشة عند أحمد وابن ماجه وهو ضعيف أيضًا. قالوا: إن هذين الحديثين ناسخان للنهي الوارد في الأحاديث السابقة). (المجموع للنووي ٢ / ٩٦).

المذهب الثالث: لا يجوز الاستقبال لا في الصحاري ولا في العمران ويجوز الاستدبار فيهما، وهو رواية عن أبي حنيفة وأحمد، واحتج أصحاب هذا الرأي بحديث سلمان السابق لأن النهي فيه عن الاستقبال فقط وليس عن الاستدبار. (المجموع للنووي ٢ / ٩٥، وفتح الباري ١ / ٢٩٦).

المذهب الرابع: وبه قال الجمهور مالك والشافعي، ورواية عن أحمد: يحرم الاستقبال والاستدبار في الصحاري ويجوز في البنيان، واحتجوا بحديث ابن عمر رضي الله عنهما قال: «رقيت يومًا على بيت حفصة فرأيت النبي £ على حاجته مستقبل الشام مستدبر الكعبة». متفق عليه. وبحديث عائشة وحديث جابر السابقين. (المجموع ٢ / ٩٦).

قال الحافظ ابن حجر في الفتح: وهو أعدل الأقوال لإعماله جميع الأدلة (١ / ٢٩٦).

قلت: وإعمال الكلام أولى من إهماله قاعدة فقهية معروفة، ولا يلجأ إلى الترجيح إلا عند عدم إمكان الجمع بين الأدلة كما هو معلوم في الأصول.

وقد رد كل فريق من أصحاب هذه الآراء على أدلة المخالفين بما لا يتسع المقام لذكره.

١٠- ألا يستنجي بيمينه: لما ثبت من نهيه £ عن ذلك كما في حديث سلمان الفارسي رضي الله عنه: نهانا - أي رسول الله £ - أن نستقبل القبلة بغائط أو بول، أو أن نستنجي باليمين، ولما روى أبو قتادة رضي الله عنه عن رسول الله £ قال: «لا يمس أحدكم ذكره بيمينه وهو يبول، ولا يتمسح من الخلاء بيمينه». متفق عليه واللفظ لمسلم.

١١- أن يقدم رجله اليمنى عند الخروج من الخلاء: لأنه إذا كان يستحب له الدخول بالرجل اليسرى فكذلك يستحب الخروج بالرجل اليمنى لأن هذا موضع تكريم كما سبق.

١٢- غسل اليد بعد الاستنجاء لإزالة ما علق بها من نجاسة أو رائحة كريهة: لما روى أبو هريرة رضي الله عنه قال: كان النبي £ إذا أتى الخلاء أتيت بماء في تور، أو ركوة، فاستنجى ثم مسح يده على الأرض، ثم أتيته بإناء آخر فتوضأ. (رواه أبو داود برقم ٤٥).

فعلى المستنجي بعد انتهائه أن يغسل يده بماء وصابون أو نحو ذلك حتى يزيل ما علق بها من أذى.

١٣- الدعاء عند الخروج من الخلاء: لما روته أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها قالت: «كان رسول الله £ إذا خرج من الخلاء قال: غفرانك». رواه الخمسة إلا النسائي.

فيسن للمستنجي بعد الخروج من مكان قضاء الحاجة أن يقول: غفرانك. قال الشيخ ابن عثيمين: وهو مصدر منصوب بفعل محذوف تقديره: أسألك غفرانك. والمغفرة هي ستر الذنب والتجاوز عنه، ومناسبة قوله: غفرانك هنا: قيل: إن المناسبة أن الإنسان لما تخفف من أذية الجسم تذكر أذية الإثم فدعا الله أن يخفف عنه أذية الإثم كما مَنَّ عليه بتخفيف أذية الجسم. (الشرح الممتع ١ / ٨٤).

هذه أهم الآداب التي ينبغي أن يتحلى بها المستنجي عند قضاء الحاجة في الأماكن المعدة لذلك، وبعض هذه الآداب مطلوبة أيضًا عند قضاء الحاجة في الأرض الفضاء، إلا أن هناك آدابًا تختص بقضاء الحاجة في الأرض الفضاء نذكرها أيضًا، فقد تدعو الحاجة إلى معرفتها عند البعض:

١- ألا يقضي الحاجة في مكان يتأذى منه الناس: نهى الشرع الحنيف عن التخلي في الأماكن التي تتصل اتصالاً مباشرًا بمنافع الناس وطرقهم وشدد على عدم إيذائهم من خلال ذلك بالرائحة

والاستقذار والتنجيس لاستجلاب فاعل ذلك لعن الناس له. (قبس من هدي الصلاة ص٣٧).

فقد ثبت في حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «اتقوا اللاعنين قالوا: وما اللاعنان يا رسول الله ؟ قال: الذي يتخلى في طريق الناس أو في ظلهم». رواه مسلم.

وبما رواه معاذ بن جبل رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ : «اتقوا الملاعن الثلاثة: البراز في الموارد، وقارعة الطريق، والظل». (رواه أبو داود برقم ٢٦، وابن ماجه برقم ٣٢٨).

والملاعن: هي الأفعال التي تكون سببًا في لعن فاعلها، والموارد: هي طرق الماء وهو الماء الذي ترد عليه الناس من عين ونهر ونحو ذلك، ولقد رأينا أن إهمال هذا التوجيه النبوي قد أدى إلى إصابة أناس كثيرين بأمراض عدة كالبلهارسيا وغيرها، فإن الشرع الشريف فيه المحافظة على صحة الإنسان وعدم إيذائه، أو إيذاء غيره ولو بطريق غير مباشر، قال الأمير الصنعاني: وقارعة الطريق المراد الطريق الواسع الذي يقرعه الناس بأرجلهم، والمراد بالظل هنا مستظل الناس الذي اتخذوه مقيلاً ومناخًا ينزلونه ويقعدون فيه. (سبل السلام ١ / ١٩٠).

٢- لا يبول في الجحر ونحوه: لما روي عن عبد الله بن سرجس رضي الله عنه أن النبي ﷺ «نهى أن يبال في الجحر». فقيل لقتادة: فما بال الجحر؟ قال: كان يقال: إنها مساكن الجن. (رواه أحمد في مسنده ٥ / ٨٢).

والحديث مختلف فيه فصححه البعض وضعفه البعض، وقد ذهب أكثر أهل العلم إلى كراهة البول في الجحر؛ لأن من يقضي حاجته قد يؤذي ما قد يوجد بهذه الجحور من الحيوانات، أو قد يتأذى هو منها.

٣- عدم استقبال القبلة أو استدبارها ؛ لما رجحناه من مذهب جمهور الفقهاء من القول بجواز الاستقبال والاستدبار في الأماكن المعدة لقضاء الحاجة وعدم جوازه في الصحاري وغيرها من الأماكن غير المعدة لقضاء الحاجة.

٤- أن يختار مكانًا رخوًا لقضاء حاجته: والمكان الرخو هو المكان اللين الذي لا صلابة فيه حتى يأمن من رشاش البول ؛ لما روي عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال: مال رسول الله ﷺ إلى دمث إلى جنب حائط فبال وقال: «إذا بال أحدكم فليرتد لبوله». (رواه أحمد ٤ / ٣٩٦، وأبو داود، وانظر ضعيف سنن أبي داود للألباني، حديث رقم ١).

قال الإمام الشوكاني: والحديث وإن كان ضعيفًا فأحاديث الأمر بالتنزه من البول تفيد ذلك. (نيل الأوطار ١ / ٢٤١). قال الإمام النووي: وهذا الأدب متفق على استحبابه. قال أصحابنا: يطلب أرضًا لينة ترابًا أو رملاً فإن لم يجد إلا أرضًا صلبة دقها بحجر لئلا يترشش عليه. (المجموع ٢ / ٩٨).

وقال الشيخ ابن عثيمين: فإن قيل لماذا يستحب؟ الجواب أنه أسلم من رشاش البول، وإن كان الأصل عدم إصابته إياك، لكن ربما يفتح باب الوسواس وكثير من الناس يبتلى بالوسواس في هذه الحال، فيقول: أخشى أن يكون قد رش ثم تبدأ النفس تعمل عملها حتى يبقى شاكًا في أمره. (الشرح الممتع ١ / ٨٧).

٥- أن يبتعد عند قضاء الحاجة عن الناس قدر المستطاع ؛ لأن ذلك أحرى ألا يراه الناس على تلك الحالة وكذلك حتى لا يشم منه رائحة كريهة. روى جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال: خرجنا مع النبي ﷺ في سفر فكان لا يأتي البراز حتى يغيب فلا يُرى». رواه ابن ماجه برقم (٣٣٥)، ولأبي داود بلفظ: «كان إذا أراد البراز انطلق حتى لا يراه أحد». قال الإمام الشوكاني: والحديث يدل على مشروعية الابتعاد لقاضي الحاجة، والظاهر أن العلة إخفاء المستهجن من الخارج. (نيل الأوطار ١ / ٢٢٤).

٦- الاستتار عن أعين الناس: لما روى عبد الله بن جعفر رضي الله عنهما قال: وكان أحبَّ ما استتر به رسول الله ﷺ لحاجته هدفٌ أو حائش نخلٍ. رواه مسلم.

و«حائش نخل»: معناه: حائط نخل.

قال الإمام الشوكاني: والهدف كل مرتفع من بناء أو كثيب رمل أو جبل، وحائش النخل جماعته، والحديث يدل على استحباب أن يكون قاضي الحاجة مستترًا حال الفعل بما يمنع رؤية الغير له، وهو على تلك الصفة. (نيل الأوطار ١ / ٢٢٥).

هذا ما تيسر لنا جمعه من الأحكام والآداب المتعلقة بقضاء الحاجة، وسنوالي في الحلقات القادمة - إن شاء الله تعالى - الكلام عن باقي سنن الفطرة، وأسأل المولى عز وجل أن يجعل ذلك خالصًا لوجهه الكريم، فهو من وراء القصد وهو يهدي السبيل.

وإلى حلقة قادمة بإذن الله تعالى.



مشروع تيسير حفظ السنة
من صحيح الأحاديث القصار

إعداد/ علـي حشيش

١٨٧٩- عن حفصةَ رَضِيَ اللَّهُ عنها أنَّها سَمِعت النبي £ يقولُ: «لَيَؤُمَّنَّ هَذَا الْبَيْتَ جَيْشٌ يَغْزُونَهُ حَتَّى إِذَا كَانُوا بِبَيْدَاءَ مِن الأَرْضِ، يُخْسَفُ بِأَوْسَطِهِمْ، وَيُنَادِي أَوَّلُهُمْ آخِرَهُمْ، ثُمَّ يُخْسَفُ بِهِمْ، فلاَ يَبْقَى إلاَّ الشَّرِيدُ الَّذِي يُخْبِرُ عَنْهُم». م(٢٨٨٣)، حم(٢٦٥٠٦)، ن(٢٨٧٩)، جه (٤٠٦٣).

١٨٨٠- عن سعد بن أبي وقاص رَضِيَ اللَّهُ عنه قال: قال رَسُول اللَّه £ : «سَأَلتُ ربِّي ثَلاثًا فَأَعْطَانِي ثِنْتَيْنِ وَمَنَعَنِي وَاحِدَةً، سَأَلتُ رَبِّي أَنْ لاَ يُهْلِكَ أُمَّتِي بِالسَّنة فَأَعْطَانِيهَا، وَسَأَلتُهُ أَنْ لاَ يُهلكَ أُمتي بِالْغَرَقِ فَأَعْطَانِيهَا، وَسَأَلتُهُ أَنْ لاَ يَجْعَلَ بَأْسَهُمْ بَيْنَهُمْ فَمَنَعنيها». م(٢٨٩٠)، حم (١٥١٦)، (١٥٧٤)، وأبو يعلى (٧٣٤)، وابن حبان (٧٢٣٧).

١٨٨٠- عن عَمْرِو بْنِ أَخْطَبَ أبي زَيْد الأَنْصَارِي رَضِيَ اللَّهُ عنه قال: «صَلَّى بِنَا رَسُول الله £ الفَجْرَ وَصَعَدَ المِنْبرَ فَخَطَبَنَا حتى حَضَرَت الظُّهْرُ فَنَزَلَ فَصَلَّى، ثُم صَعَدَ المنبَرَ، فَخَطَبَنَا حَتَّى حَضَرَت العَصْرُ، ثُمَّ نَزَلَ فَصَلَّى ثُمَّ صَعَدَ المِنْبرَ فَخَطَبَنَا حَتَّى غَرَبَتِ الشَّمْسُ فَأَخْبَرَنَا بِمَا كَانَ وَبِمَا هُو كَائنٌ فَأَعْلَمُنَا أَحفَظُنا». م(٢٨٩٢)، حم(٢٢٩٥١)، طب (١٧ / ٢٨) ح(٤٦).

١٨٨١- عن أُبَيِّ بْنِ كَعْبٍ رَضِيَ اللَّهُ عنه قال: سَمِعْتُ رسولَ الله £ يقولُ: «يُوشِكُ الفُرَاتُ أَنْ يَحْسِرَ عَن جَبَلٍ من ذَهَبٍ، فَإِذَا سَمِعَ بِهِ النَّاسُ سَارُوا إليه، فَيُقولُ مَنْ عِنْدهُ: لَئِنْ تَرَكنا النَّاسَ يَأْخُذونَ مِنْهُ لَيُذْهَبَنَّ بِه كُله، قَالَ: فَيَقْتَتِلونَ عَلَيه، فَيُقْتَلُ مِن كُل مَائة تِسعَةٌ وتسعُون». م (٢٨٩٥)، حم (٢١٣١٨)، (٢١٣١٩)، (٢١٣٢٠).

١٨٨٢- عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عنه قال: قال رسولُ الله £ : «مَنَعَت العِرَاقُ دِرْهَمَهَا وَقَفِيزَهَا، ومَنعت الشأمُ مُدْيَهَا وَدِينَارَهَا، وَمَنَعتْ مِصرُ إِرْدَبَّهَا وَدِينَارَهَا، وعُدتُمْ مِن حيثُ بَدَأتُمْ، وعُدْتُمْ مِنْ حَيْثُ بَدأتُم، وعُدتُم من حَيْثُ بَدَأتُمْ شَهِدَ عَلَى ذَلكَ لَحْمُ أَبِي هُرَيرة وَدَمُهُ». م(٢٨٩٦)، د (٣٠٣٥).

١٨٨٣- عَنْ نَافِعِ بن عُتبَةَ رَضِيَ اللَّهُ عنه عن النَّبِيِّ £ قال: «تَغْزُونَ جَزِيرةَ العَرَبِ، فَيفتحُهَا اللَّهُ ثُمَّ فَارسَ فَيفتحـها اللهُ، ثُمَّ تَغْزُونَ الرُّومَ فَيفتحُهَا اللهُ، ثُمَّ تَغْزُونَ الدَّجَالَ، فَيَفْتَحهُ اللهُ». م(٢٩٠٠)، م(١٨٩٩٤)، (١٨٩٩٥)، جه (٤٠٩١)، حب (٦٦٧٢).

١٨٨٤- عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عنه قال: قالَ رسولُ الله £ : «تَبْلُغُ المَسَاكِنُ إِهَابَ، أَوْ يَهَابَ». م(٢٩٠٣)، إهاب أو يهاب: موضع بقرب المدينة على أميال منها.

١٨٨٥- عن أبي هُرَيرة رَضِيَ اللَّهُ عنه أنَّ رسولَ الله £ قال: «لَيْسَت السَّنَةُ بِأَنْ لاَ تُمْطَرُوا، ولَكنِ السَّنَةُ أن تُمْطَروا وتُمطَروا ولا تُنْبِتُ الأَرْضُ شَيئًا». م(٢٩٠٤): المراد بالسنة هنا القحط ومنه قوله تعالى: «وَلَقَدْ أَخَذْنَا آلَ فِرْعَوْنَ بِالسِّنِينَ» [الأعراف: ١٣٠].

١٨٨٦- عن ابنِ عمرَ رَضِيَ اللَّهُ عنهما أنَّه سَمِعَ رسولَ الله £ وَهُو مُسْتَقبِلُ المَشْرِقِ يقولُ: «أَلا إنَّ الفِتْنَةَ هَا هُنا، أَلا إنَّ الفِتْنَةَ هَا هُنا مِن حَيْثُ يَطْلُعُ قَرْنُ الشَّيْطَان». متفق عليه واللفظ لمسلم. خ(٧٠٩٢)، م(٢٩٠٥)، مالك (١٨٢٤)، حم (٤٦٧٩)، (٤٧٥١)، (٤٨٠٢)، (٤٩٨٠)، (٥١٠٩)، (٥٥٤١٠)، (٥٩٠٥)، (٦٠٣١)، (٦٢٤٩)، (٦٢٤٩)، (٦٣٠٢).

١٨٨٧- عَن أبي هُرَيرة رَضِيَ اللَّهُ عنه قال: قال النبي £ : «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَده لَيَأْتِينَ على النَّاسِ زَمانٌ لاَ يَدرِي القَاتِلُ في أَي شَيءٍ قَتَلَ، ولاَ يَدْرِي المَقتُولُ عَلَى أي شَيءٍ قُتِلَ». م(٢٩٠٨).

١٨٨٨- عَنْ أَبِي هُرَيرَة رَضِيَ اللَّهُ عنه عن النبي £ قال: «لاَ تَذهَبُ الأَيَّامُ وَاللَّيالي حَتَّى يَمْلِكَ رَجُل يُقالُ لَه الجَهْجاهُ». م(٢٩١١)، حم (٨٣٧٢)، ت(٢٢٢٨).

١٩٨٩- عَن أَبي سَعِيد وجَابر بن عَبد اللَّه رَضِيَ اللَّهُ عنهم قَالاَ: قالَ رَسُول اللَّه £ : «يَكُون في آخِرِ الزَّمانِ خَليفَةٌ يَقْسِمُ المالَ ولا يَعُدُّهُ». م(٢٩١٤)، حم (١١٠١٢)، (١١٣٣٩)، (١١٤٥٦).

١١٩٠- عَنْ أُمِّ سَلَمَةَ رَضِيَ اللَّهُ عنها: «أن رَسُول اللَّه £ قَالَ لِعَمَّارٍ: تَقْتُلُكَ الفِئَةُ البَاغيةُ». م(٢٩١٦)، حم (٢٦٥٤٤)، (٢٦٦٢٥)، (٢٦٧١٢)، (٢٦٧٤٢)، طب (٢٣ / ح٨٥٢-٨٥٤، ٨٥٥- ٨٥٦، ٨٧٣، ٨٧٤).

١١٩١- عَنْ جَابرِ بْنِ سَمُرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عنه قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ الله £ يقولُ: «إِنَّ بَينَ يَدَى السَّاعَةِ كَذَّابِينَ». م(٢٩٢٣)، حم (٩١٨٣).

١٩٩٢- عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرٍو رضي الله عنهما، قالَ: حَفِظْتُ من رسولِ الله £ حديثًا لَمْ أَنسهُ بَعدُ، سَمِعتُ رَسُولَ اللَّهِ £ يقول: «إِنَّ أولَ الآيات خُروجًا طُلوعُ الشمسِ مِنْ مَغربِها، وخُرُوجُ الدَّابةِ على الناسِ ضُحًى وأيُهما مَا كَانَتْ قَبْلَ صَاحِبَتِهَا فَالأخرَى عَلى إِثْرِهَا قَريبًا». م(١٩٤١)، حم(٦٨٩٨)، د(٤٣١٠)، جه (٤٠٦٩).

١٩٩٣- عَنْ أَنس بْنِ مَالكٍ رَضِيَ اللَّهُ عنه أنَّ رسولَ اللهِ £ قال: «يَتبعُ الدَّجالَ من يَهود أصبهانَ سَبْعُونَ ألفًا عَليهم الطَّيالسةُ». م(٢٩٤٤)، حب(٦٧٩٨)، حم (١٣٣٤٣).

١٩٩٤- عَنْ هِشَام بن عامر رَضِيَ اللَّهُ عنه قالَ: سَمعتُ رَسُولَ اللَّهِ £ يقول: «مَا بَيْنَ خَلْقِ آدمَ إلى قِيامِ الساعةِ خَلْقٌ أكبرُ مِن الدَّجالِ». م(٢٩٤٦)، حم (١٦٢٦٥)، (١٦٢٦٧). (أكبر من الدجال): المراد أكبر فتنة وأعظم شوكة.

١٩٩٥- عن أبي هُريرة رَضِيَ اللَّهُ عنه عن النبي £ قال: «بَادِرُوا بالأعمالِ سِتًّا: الدَّجالَ، والدُّخانَ، ودابَّةَ الأَرضِ، وطُلوعَ الشَّمسِ مِن مَغربِها، وأَمْرَ العَامَّة، وخُوَيصة أَحَدكُمْ». م(٢٩٤٧)، حم (٨٣١٠)، عز وجل(٨٤٥٤)، د(٨٨٥٧)، وحب(٦٧٩٠).

١٩٩٦- عن معقل بن يسار أن رَسُولَ اللَّهِ £ قال: «العِبَادَةُ في الهَرْجِ كَهِجْرةٍ إليَّ». م(٢٩٤٨)، حم (٣٠٣٢٠)، و(٣٠٣٣٣)، ت(٢٢٠١)، جه (٣٩٨٥). (الهرج) المراد: الفتنة واختلاط أمور الناس.

١٩٩٧- عن عبد الله رَضِيَ اللَّهُ عنه عن النبي £ قال: «لاَ تقومُ السَّاعةُ إلاَّ على شِرارِ النَّاسِ». متفق عليه واللفظ لمسلم. خ(٧٠٥٦٧)، م(٢٩٤٩)، حم(٣٧٣٥)، د(٤١٤٤)، طب في الكبير (١٠٠٩٧)، حب (٦٨٥٠).

١٩٩٨- عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عنها قالت: «كان الأعراب إذا قدموا على رَسُولِ اللَّهِ £ سألوه عن الساعة: متى الساعة ؟ فنظر إلى أحدث إنسان منهم، فقال: «إنْ يَعِش هَذَا لَمْ يُدْرِكْهُ الهَرَمُ، قَامَتْ عَليكُم سَاعَتُكُمْ». م(٢٩٥٢). (ساعتكم): المراد موتكم.

١٩٩٩- عن أبي هُريرة رَضِيَ اللَّهُ عنه قال: قال رَسُولُ اللَّهِ £ : «الدُّنيَا سِجْنُ المُؤمنِ وجَنَّةُ الكَافرِ». م(٢٩٥٦)، حم (٨٢٩٦)، (٩٠٦٥)، (١٠٢٩٢)، ت(٢٣٢٤)، جه (٤١١٣)، حب (٦٨٧).

٢٠٠٠- عن مطرِّف عن أبيه رضي الله عنه قال: أتيت النبي £ وهو يقرأ: «أَلْهَاكُمُ التَّكَاثُرُ» قال: يقولُ ابْنُ آدَمَ: مَالي مَالي، قال: وَهَلْ لَكَ يَا ابْنَ آدَمَ مِنْ مَالِكَ إلاَّ مَا أَكَلْتَ فَأَفْنَيْتَ، أَوْ لَبِسْتَ فَأَبْلَيْتَ، أَوْ تَصدَّقْتَ فَأَمْضَيْتَ». م(٢٩٥٨)، حم (١٦٣٠٥)، (١٦٣٠٦)، (١٦٣٢٢)، (١٦٣٢٧)، (١٦٣٢٨)، ت(٢٣٤٢٢)، (٣٣٥٤)، ن المجتبى (٣٦١٥)، وفي الكبرى (١١٦٩٦ / ٦)، حب (٧٠١)، (٣٣٢٧).

٢٠٠١- عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عنه «أن رَسُولَ اللَّهِ £ قال: «يقولُ العَبْدُ: مَالي مَالي، إنَّما لَهُ مِنْ مَاله ثَلاثٌ: مَا أَكَلَ فَأَفْنى، أو لَبِسَ فَأَبْلَى، أَوْ أَعْطَى فَاقْتَنَى، وَمَا سِوَى ذَلكَ فَهُوَ ذَاهِبٌ وَتَارِكُهُ لِلنَّاسِ». م(٢٩٥٩)، حم (٨٨٢١)، (٩٣٥٠)، حب (٣٢٤٤)، (٣٣٢٨)، هق (٣ / ٣٦٨ / ٣٦٩).

٢٠٠٢- «عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما عن رَسُولِ اللَّهِ £ أنه قال: «إذَا فُتحت عليكم فَارِسُ وَالرُّومُ أَيُّ قَوْمٍ أَنْتُمْ»؟ قال عبد الرحمن بن عوف: نقول كما أمرنا الله. قال رَسُولُ اللَّهِ £ : «أَو غَيْرَ ذَلكَ تَتَنَافَسُونَ ثُمَّ تَتَحاسَدُونَ، ثُمَّ تَتَدابَرونَ، ثُمَّ تَتَباغضُونَ، أو نَحْوَ ذَلكَ، ثُم تَنْطلِقُونَ في مَساكِينِ المُهَاجرينَ فَتَجْعَلُونَ بَعْضَهُمْ عَلَى رِقَابِ بَعْضٍ». م(٢٩٦٢)، جه (٣٩٩٦)، حب (٦٨٨).

٢٠٠٣- عن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه قال رَسُولُ اللَّهِ £ : «إنَّ اللهَ يُحِبُّ العَبدَ التَّقيَّ الغَنيَّ الخَفِيَّ». م(٢٩٦٥)، حم (١٤٤١).

٢٠٠٤- عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عنها قالت: «إنْ كُنَّا آلَ مُحمَّد £ لَنمكُثُ شَهرًا مَا نَسْتَوْقِدُ بِنَارٍ إنْ هُوَ إلاَّ التَّمْرُ وَالمَاءُ». متفق عليه واللفظ لمسلم. خ(٦٤٥٨)، م(٢٩٧٢)، ن (٢٤٧١)، جه (٤١٤٤).

٢٠٠٥- عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عنها قالت: «لقد مَاتَ رَسُولُ اللَّهِ £ ، وَمَا شَبِعَ مِنْ خُبْزٍ وَزَيْتٍ في يَوْمٍ وَاحدٍ مَرَّتَيْنِ». م(٢٩٧٤)، حب (٦٣٥٨).

٢٠٠٦- عن أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عنه قال: وَالَّذي نَفْسي بِيَدِه مَا أَشْبَعَ رَسُولُ اللَّهِ £ أَهْلَهُ ثَلاثَةَ أَيامٍ تِباعًا من خُبْزِ حِنْطَةٍ حَتَّى فَارَقَ الدُّنْيَا». متفق عليه واللفظ لمسلم. خ(٥٣٧٤)، م(٢٩٧٦)، حم (٩٦١٧)، ت(٢٣٥٨)، جه(٣٣٤٣)، حب (٦٣٤٦).

٢٠٠٧- عن سماك رضي الله عنه قال: سمعت النعمان بن بشير يقول: «أَلَسْتُمْ فِي طَعَامٍ وَشَرَابٍ مَا شِئْتُمْ ؟ لَقَدْ كَانَ نَبيُّكُمْ £ وَمَا يَجِدُ مِنَ الدَّقَلِ، مَا يَمْلأُ بِهِ بَطْنَهُ» م(٢٩٧٧)، حم (١٨٣٨٥)، ت(٢٣٧٢)، حب (٦٣٤٠)، (٦٣٤١). (الدقل): التمر الرديء.

٢٠٠٨- قال عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما وسأله رجل فقال: «ألسنا من فقراء المهاجرين؟ فقال له عبد الله: ألك امرأةٌ تأوي إليها ؟ قال: نعم، قال: ألك مسكنٌ تسكنه ؟ قال: نعم، قال: فأنت من الأغنياء، قال: فإنَّ لي خادمًا، قال: فأنت من الملوك». م(٢٩٧٩).



الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن والاه، وبعد:

ففي هذا العدد نتكلم عن فوائد الآيتين الخمسين والحادية والخمسين من سورة آل عمران وهو قوله تعالى: «وَمُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَاةِ وَلِأُحِلَّ لَكُمْ بَعْضَ الَّذِي حُرِّمَ عَلَيْكُمْ وَجِئْتُكُمْ بِآيَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ (٥٠) إِنَّ اللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ».

فوائد الآيتين:

١- جاء عيسى ابن مريم عليه السلام بما يصدق به التوراة، لقوله تعالى: «وَمُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ»، وقد سبق لنا أن معنى «مصدقًا» في قوله تعالى: «وَمُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ» كلمة ذات معنيين: الأول: أنه شاهد بصدق التوراة، وأنها حق.

والثاني: أنه مطابق لما أخبرت به، وإذا جاء الشيء مطابقًا لما أخبر به، فهذا تصديق شاهد بالصدق.

٢- جواز النسخ في الشرائع، لقوله: «وَلِأُحِلَّ لَكُمْ بَعْضَ الَّذِي حُرِّمَ عَلَيْكُمْ»، وهذا نسخ، والنسخ في الشرائع ثابت منذ نوح إلى محمد عليه الصلاة والسلام، وأنكرت اليهود وجود النسخ وقالت: لا يمكن أن ينسخ الله الحكم؛ لأن هذا يستلزم نقصًا في حق الله، فيقال لهم: ومتى وصفتم الله بالكمال - أنقصكم الله وأذلكم ؟-

ألم تقولوا: إن يد الله مغلولة؟ ألم تقولوا: إن الله فقير؟ ألم تقولوا: إن الله استراح حين خلق السماوات والأرض وتعب؟ فكيف تقولون: إن النسخ يستلزم النقص على الله؟

يقولون: لأنه يستلزم العلم بعد الجهل،

كأن الله إذا نسخ الحكم الأول تبين له أن الصواب في الحكم الثاني، وهذا نقص، فنقول لهم: نحن نرد عليكم بشريعتكم، قال الله تعالى: «كُلُّ الطَّعَامِ كَانَ حِلاً لِبَنِي إِسْرَائِيلَ إِلاَّ مَا حَرَّمَ إِسْرَائِيلُ عَلَى نَفْسِهِ مِنْ قَبْلِ أَنْ تُنَزَّلَ التَّوْرَاةُ قُلْ فَأْتُوا بِالتَّوْرَاةِ» [آل عمران: ٩٣]، وقال: «فَبِظُلْمٍ مِنَ الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَاتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ» [النساء: ١٦٠]، وأنتم تعتقدون أن التوراة ناسخة للكتب السابقة المنزلة على بني إسرائيل، وأنه يجب على كل واحد من بني إسرائيل أن يؤمن بها ويتبعها، وهل هذا إلا نسخ، ثم إن النسخ في الحقيقة من مقتضى الحكمة لا منافي للحكمة ؛ لأن الله عز وجل يشرع الأحكام مناسبة للواقع أو ملائمة لمن شرعت له، فقد يكون هذا الحكم ملائمًا في زمن غير ملائم في زمن آخر، أو ملائمًا لقوم غير ملائم لآخرين.

وكون الأحكام تتبع الحكمة هذا هو الكمال وليس النقص، وهنا عيسى ابن مريم قال: «وَلأُحِلَّ لَكُمْ بَعْضَ الَّذِي حُرِّمَ عَلَيْكُمْ».

٣- جواز نسبة الحكم إلى من بلغه ؛ لأنه قال: «ولأُحِلَّ لَكُمْ» وأصل التحليل والتحريم من عند الله عز وجل، لكن إضافته إلى من أبانه وأظهره لا بأس بها، ولهذا أضاف الله عز وجل القرآن إلى نفسه وإلى جبريل وإلى محمد ﷺ، أما إلى نفسه فقال: «وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلاَمَ اللَّهِ» [التوبة: ٦].

وأما إلى جبريل فقال: «إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ (١٩) ذِي قُوَّةٍ عِنْدَ ذِي الْعَرْشِ مَكِينٍ» [التكوير: ١٩، ٢٠].

وأما إلى محمد ﷺ فقال: «إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ (٤٠) وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ قَلِيلاً مَا تُؤْمِنُونَ» [الحاقة: ٤٠، ٤١]، لكن الكلام يضاف حقيقة إلى من قاله مبتدئًا، وأما من قاله مبلغًا مؤديًا فإنما يضاف إليه لكونه أظهره وأبانه.

٤- تكرار الأمور الهامة ؛ لقوله في المرة الثالثة: «وَجِئْتُكُمْ بِآيَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ».

٥- أن الطاعة أمر مشترك بين الرسل وبين الله عز وجل، وأما التقوى فهي خاصة بالله، لقوله: «فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ»، وطاعة الله هي الأصل، لكن طاعة الرسول طاعة للمرسل الذي أرسله.

٦- أن التقوى واجبة في كل شريعة ؛ لقوله هنا: «فَاتَّقُوا اللَّهَ»، ولكن المتقى به قد يختلف باختلاف الشرائع ؛ لقوله تعالى: «لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا» [المائدة: ٤٨]، يعني هذا الذي يتقي الله به قد يختلف باختلاف الشرائع.

٧- عموم ربوبية الله للبشر، لقوله تعالى: «رَبِّي وَرَبُّكُمْ» وربوبية الله ثابتة لكل السموات والأرض ومن فيهن، «قُلْ لِمَنِ الأَرْضُ وَمَنْ فِيهَا» [المؤمنون: ٨٤]، فالربوبية ؛ ربوبية الله سبحانه وتعالى لكل شيء، لكن عيسى عليه السلام قال: «رَبِّي وَرَبُّكُمْ» ليقيم عليهم الحجة ؛ لأنه إذا كان ربهم سبحانه وتعالى فإنه يشرع فيهم وعليهم ما يشاء ولا أحد يعقب حكمه.

٨- أن عيسى مربوب وليس ربًا ؛ لقوله: «رَبِّي وَرَبُّكُمْ».

٩- الرد على النصارى في دعواهم أن الله ثالث ثلاثة، وقد كفرهم الله بذلك فقال: «لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلاَثَةٍ» [المائدة: ٧٣] كفرهم بهذا، وهم بلا شك كافرون مخلدون في نار جهنم أبد الآبدين.

١٠- وجوب العبادة بقوله تعالى: «فاعبدون».

١١- أن الإقرار بالربوبية مستلزم للإقرار بالعبودية، يعني أن من أقر بربوبية الله لزمه أن يقر بعبوديته، ولهذا قال: «فاعبدون» فأتى بالفاء الدالة على السببية، أي فبسبب اختصاصه بالربوبية يجب أن تخصوه بالعبادة، ومن ثَمَّ نجد الله سبحانه وتعالى في كتابه يقيم الحجة على المشركين الذين يقرون بربوبيته لا بألوهيته، يقولون: إنه منفرد بالربوبية لكن في الألوهية لا يفردونه، يتخذون معه آلهة وليس إلهًا واحدًا، كل قوم لهم رب يعبدونه، وهذا لا شك بالغ في السفه فإذا كنت تعلم وتعتقد بأن الله وحده هو الرب لزمك أن تعتقد بأنه وحده الإله المعبود وأنه لا إله غيره.

١٢- أن الصراط المستقيم عبادة الله ؛ لقوله: «فاعْبُدُوهُ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ»، ولا شك أن أهدى السبل وأقومها عبادة الله، وعبادة الله كما نعلم هي اتباع شرعه سبحانه وتعالى.

هذا والله أعلم.

حديث الشهر

جنة الدنيا

إعداد: د/ جمال المراكبي
رئيس مجلس علماء الجماعة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين، وآله وصحبه أجمعين، وبعد:

قال الله تعالى: «الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً» [الملك: ٢].

والناس في حياتهم يتقلبون بين النعم والنقم والابتلاءات، والمؤمن الموفق يعلم كيف يتعامل مع هذه الاختبارات، قال رسول الله ﷺ: «عجبًا لأمر المؤمن، إن أمره كله له خير، وليس ذلك لأحد إلا للمؤمن، إن أصابه سراء شكر فكان خيرًا له، وإن أصابه ضراء صبر فكان خيرًا له» [صحيح مسلم].

ونعيم الدنيا لا يخلو من شقاء وتعب ونصب، فنعيمها لا يبقى، فإما أن يتركه الإنسان ويموت، وإما أن يتركه وهو أحوج ما يكون إليه.

ونعيم الدنيا لا يشبع، فلو أن لابن آدم واديًا من ذهب لتمنى له اثنين، ولا يملأ عين ابن آدم إلا التراب.

ونعيم الدنيا لا يصفو، فهو لا يخلو من تعب ونصب.

تعبٌ كلها الحياة فواعجبًا مِن راغب في ازدياد

أرى الدنيا لمن هي في يديه
عذابًا كلما كثرت لديه
تهين المكرمين لها بصُغر
وتكرم كل من هانت عليه

والإنسان في الدنيا لا يشعر بالرضا أبدًا، وقد صدق القائل:

صغيرٌ يطلب الكِبَر
وشيخٌ وَدَّ لو صَغر
وخالٍ يشتهي عملاً
وذو عملٍ به ضَجِرا
وربُّ المال في تَعَبٍ
وفي تعبٍ من افتقرا

وأجمل من هذا ما قاله ابن عبد البر، رحمه الله:

من ذا الذي قد نال راحة فكره
في عمره من عسره أو يسره

لقد كان رسول الله £ يقول في دعائه: «اللهم بعلمك الغيب، وقدرتك على الخلق، أحيني ما علمت الحياة خيرًا لي، وتوفني إذا علمت الوفاة خيرًا لي، اللهم وأسألك خشيتك في الغيب والشهادة، وأسألك كلمة الحق في الرضى والغضب، وأسألك القصد في الفقر والغنى، وأسألك نعيمًا لا ينفد، وأسألك قرة عين لا تنقطع، وأسألك الرضى بعد القضاء، وأسألك برد العيش بعد الموت، وأسألك لذة النظر إلى وجهك، والشوق إلى لقائك، في غير ضراء مضرة، ولا فتنة مضلة، اللهم زينا بزينة الإيمان، واجعلنا هداة مهديين» [رواه النسائي وصححه الألباني]. فالنعيم الذي لا ينفد هو نعيم الجنة ؛ لأن نعيم الدنيا لا بد وأن ينفد، وقرة العين التي لا تنقطع تكون في الجنة ؛ لأن سرور الدنيا لا يدوم، ولهذا قال رسول الله £ : «وأسألك برد العيش بعد الموت، وأسألك لذة النظر إلى وجهك». وهذا كله لا يكون إلا في الجنة.

الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر

روى مسلم في صحيحه عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله £ : «الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر» (كتاب الزهد والرقائق (ح٢٩٥٦).

وروى البيهقي في الزهد الكبير عن فضيل بن عياض في معنى قول النبي £ : «الدنيا سجن المؤمن». قال: هي سجن من ترك لذاتها وشهواتها، فأي سجن هي عليه؟

وروى أبو داود في الزهد عن ابن عمر رضي الله عنهما عن النبي £ : «الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر، إن المؤمن إذا مات خلى له سربه يسرح في الجنة حيث شاء».

وروى ابن المبارك عن الحسن قال: والله إن أصبح مؤمن فيها إلا حزينًا، وكيف لا يحزن وقد أخبره الله أنه وارد جهنم، ولم يأته عن الله أنه صادر عنها، وليلقين أمراضًا ومصيبات وأمورًا عظيمة، وليُظلمن فيها فما ينتصر، يبتغي من ذلك الثواب من الله، وما يزال فيها حزينًا خائفًا حتى يفارقها، فإذا فارقها أفضى إلى الراحة والكرامة.

قال النووي في شرح الحديث: معناه أن المؤمن مسجون فيها ممنوع عن الشهوات المحرمة والمكروهة، ومكلف بفعل الطاعات الشاقة، فإذا مات استراح من هذا وانقلب إلى ما أعد الله له من النعيم الدائم والراحة الخالصة من المنغصات، وأما الكافر فإنما له من ذلك ما حصل في الدنيا مع قلته وتكديره بالمنغصات، فإذا مات انقلب إلى العذاب الدائم وشقاوة الأبد.

قُلْتُ: ويشهد لهذا قول النبي £ لعمر رضي الله عنه لما قال: ادع الله يا رسول الله أن يوسع على أمتك فقد وسع على فارس والروم وهم لا يعبدون الله، فاستوى جالسًا وقال: «أفي شك أنت يا ابن الخطاب! أولئك قوم عجلت لهم طيباتهم في حياتهم الدنيا». فقلت: استغفر لي يا رسول الله. متفق عليه.

وقال المناوي في شرح الجامع الصغير: الدنيا سجن المؤمن بالنسبة لما أعد له في الآخرة من النعيم المقيم، وجنة الكافر بالنسبة لما أمامه من عذاب الجحيم. اهـ.

ومن عدل الله عز وجل أن نعم الله الدنيوية يستوفيها الكافر في الدنيا، وليس له في الآخرة نصيب.

مر الحافظ ابن حجر العسقلاني - قاضي قضاة مصر - برجل يهودي يبيع السمن والزيت، وكان ابن حجر يركب عربة تجرها والبغال الناس حوله، فاستوقفه اليهودي قائلاً: إن نبيكم يقول: «الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر»، فكيف أكون أنا بهذه الحال، وأنت بهذه الحال؟ فقال ابن حجر: أنا في سجن بالنسبة لما أعده الله للمؤمنين في الآخرة، وأنت في جنة بالنسبة لما أعده الله للكافرين في الجحيم. فأسلم اليهودي.

والحقيقة أن الكافرين وإن استمتعوا بالدنيا، فإنهم في كرب وضيق لإعراضهم عن الله عز وجل، يقول الله تعالى: «وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا» [طه: ١٢٤].

ولهذا يُقدم أحدهم على قتل نفسه بسبب هذا الضنك.

إن ما يُعطى الكافر من نعيم في الدنيا إنما هو إمهال واستدراج، يقول تعالى: «سَنَسْتَدْرِجُهُمْ مِنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ (١٨٢) وَأُمْلِي لَهُمْ إِنَّ كَيْدِي مَتِينٌ» [الأعراف: ١٨٢-١٨٣]. وقال تعالى: «وَمَنْ كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُ قَلِيلاً ثُمَّ أَضْطَرُّهُ إِلَى عَذَابِ النَّارِ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ» [البقرة: ١٢٦].

وقال تعالى: «لَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَى مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْهُمْ زَهْرَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَى» [طه: ١٣١].

وقال تعالى: «لَا يَغُرَّنَّكَ تَقَلُّبُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي الْبِلَادِ (١٩٦) مَتَاعٌ قَلِيلٌ ثُمَّ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمِهَادُ» [آل عمران: ١٩٦، ١٩٧].

قال السعدي، رحمه الله: وهذه الآية المقصود منها التسلية عما يحصل للذين كفروا من متاع الدنيا، وتنعمهم فيها، وتقلبهم في البلاد بأنواع التجارات والمكاسب واللذات، وأنواع العز، والغلبة في بعض الأوقات، فإن هذا كله «متاع قليل» ليس له ثبوت ولا بقاء، بل يتمتعون به قليلاً ويعذبون عليه طويلاً، هذه أعلى حالة تكون للكافر، وقد رأيت ما تؤول إليه.

أما المتقون لربهم، المؤمنون به، فمع ما يحصل لهم من عز الدنيا ونعيمها «لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا».

فلو قدر أنهم في دار الدنيا، قد حصل لهم كل بؤس وشدة، وعناء ومشقة، لكان هذا بالنسبة إلى النعيم المقيم، والعيش السليم، والسرور والحبور، والبهجة نزرًا يسيرًا، ومنحة في صورة محنة، ولهذا قال تعالى: «وَمَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ لِلْأَبْرَارِ»، وهم الذين برت قلوبهم، فبرت أقوالهم وأفعالهم، فأثابهم البر الرحيم من بره أجرًا عظيمًا، وعطاءً جسيمًا، وفوزًا دائمًا. اهـ.

ولأجل هذا يُكره للمؤمن الانغماس في لذات الدنيا والترفه فيها لأن هذا مما يُطغي ويُنسي، قال الله تعالى: «فَأَمَّا مَنْ طَغَى (٣٧) وَآثَرَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا (٣٨) فَإِنَّ الْجَحِيمَ هِيَ الْمَأْوَى (٣٩) وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَى (٤٠) فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَى» [النازعات: ٣٧ - ٤١].

عن سعد بن إبراهيم عن أبيه أن عبد الرحمن بن عوف أُتي بطعام وكان صائمًا، فقال: قتل مصعب بن عمير وهو خير مني، فكفن في بردة إن غطي رأسه بدت رجلاه، وإن غطي رجلاه بدا رأسه وأراه، قال: وقتل حمزة وهو خير مني، يعني فلم يوجد له ما يكفن فيه إلا بردة، ثم بسط لنا من الدنيا ما بسط أو قال: أعطينا من الدنيا ما أعطينا وقد خشينا أن تكون حسناتنا عجلت لنا ثم جعل يبكي حتى ترك الطعام. رواه البخاري.

جنة الدنيا

إذا رَضِيَ المؤمن بالله تعالى ربًا، وتذوق طعم الإيمان ووجد حلاوته ورضي عن الله تعالى في كل ما يفعله به ويقدره عليه، وجد في قلبه لذة لا تعادلها لذة، ألا وهي لذة الرضى بالله والأنس به والشوق إلى لقائه وحب هذا اللقاء، ومن أحب لقاء الله، أحب الله لقاءه، ولقد كان النبي ﷺ يسأل ربه لذة النظر إلى وجهه الكريم والشوق إلى لقائه، ولما خيره الله بين الدنيا وما فيها، وبين لقاء الله، اختار لقاء الله، وقال: «اللهم الرفيق الأعلى».

عن العباس بن عبد المطلب رضي الله عنه أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: «ذاق طعام الإيمان من رَضِيَ بالله ربًا، وبالإسلام دينًا، وبمحمدٍ رسولاً». رواه مسلم.

وعن ثوبان رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ : «من قال حين يمسي: رضيت بالله ربًا، وبالإسلام دينًا، وبمحمد نبيًا، كان حقًا على الله أن يرضيه». رواه الترمذي وحسنه.

هذه الأمور الثلاثة التي تضمنتها هذه الأحاديث - وهي: الرضا بالله ربًا، وبالإسلام دينًا، وبمحمد ﷺ رسولاً، هي

الأصول الثلاثة التي بنى عليها الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله كتابه «الأصول الثلاثة وأدلتها»، وهي الأمور التي يسأل عنها في القبر، فالإنسان يسأل في قبره عن دينه وربه ونبيه محمد ﷺ .

ورد في «مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح»: «ذاق طعم الإيمان» أي: حلاوة الإيمان ولذاته، «من رضي بالله ربًا»، قال صاحب التحرير: معنى رضيت بالشيء: قنعت به، واكتفيت به، ولم أطلب معه غيره، فمعنى الحديث: لم يطلب غير الله تعالى ولم يسع في غير طريق الإسلام ولم يسلك إلا ما يوافق شريعة محمد ﷺ ، ولا شك أن من كانت هذه صفته فقد خلصت حلاوة الإيمان إلى قلبه وذاق طعمه.

وقال القاضي عياض: معنى الحديث: صح إيمانه واطمأنت به نفسه وخامر باطنه ؛ لأن رضاه بالمذكورات دليل لثبوت معرفته ونفاذ بصيرته ومخالطة بشاشته قلبه ؛ لأن من رضي أمرًا سهل عليه فكذا المؤمن إذا دخل قلبه الإيمان سهل عليه طاعات الله تعالى ولذت له.

وقال ابن القيم: فالرضى بإلهيته يتضمن الرضى بمحبته وحده وخوفه ورجائه والإنابة إليه والتبتل إليه، وانجذاب قوى الإرداة والحب كلها إليه، فعل الراضي بمحبوبه كل الرضى وذلك يتضمن عبادته والإخلاص له.

والرضى بربوبيته: يتضمن الرضى بتدبيره لعبده ويتضمن إفراده بالتوكل عليه والاستعانة به والثقة به والاعتماد عليه وأن يكون راضيًا بكل ما يفعل به.

فالأول: يتضمن رضاه بما يؤمر به، والثاني: يتضمن رضاه بما يقدر عليه.

وأما الرضى بنبيه رسولاً: فيتضمن كمال الانقياد له والتسليم المطلق إليه بحيث يكون أولى به من نفسه فلا يتلقى الهدى إلا من مواقع كلماته ولا يحاكم إلا إليه ولا يحكم عليه غيره ولا يرضى بحكم غيره البتة.

وأما الرضى بدينه: فإذا قال أو حكم أو أمر أو نهى: رضي كل الرضى ولم يبق في قلبه حرج من حكمه وسلم له تسليمًا ولو كان مخالفًا لمراد نفسه أو هواها أو قول شيخه وطائفته. «مدارج السالكين».

وقال في «الوابل الصيب»: وسمعت شيخ الإسلام ابن تيمية - قدس الله روحه - يقول: إن في الدنيا جنة من لم يدخلها لا يدخل جنة الآخرة.

وقال لي مرة: ما يصنع أعدائي بي ؟ أنا جنتي وبستاني في صدري، إن رحت فهي معي لا تفارقني، إن حبسي خلوة، وقتلي شهادة، وإخراجي من بلدي سياحة.

وكان يقول في محبسه في القلعة: لو بذلت ملء هذه القلعة ذهبًا ما عدل عندي شكر هذه النعمة. أو قال: ما جزيتهم على ما تسببوا لي فيه من الخير، ونحو هذا.

وكان يقول في سجوده وهو محبوس: «اللهم أعني على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك، ما شاء الله».

وقال لي مرة: «المحبوس من حبس قلبه عن ربه، والمأسور من أسره هواه».

ولما دخل إلى القلعة وصار داخل سورها، نظر إليه وقال: «فَضُرِبَ بَيْنَهُمْ بِسُورٍ لَهُ بَابٌ بَاطِنُهُ فِيهِ الرَّحْمَةُ وَظَاهِرُهُ مِنْ قِبَلِهِ الْعَذَابُ».

وعلم الله ما رأيت أحدًا أطيب عيشًا منه قط، مع ما كان فيه من ضيق العيش وخلاف الرفاهية والنعيم بل ضدها، ومع ما كان فيه من الحبس والتهديد والإرهاق، وهو مع ذلك من أطيب الناس عيشًا، وأشرحهم صدرًا، وأقواهم قلبًا، وأسرهم نفسًا، تلوح نضرة النعيم على وجهه، وكنا إذا اشتد بنا الخوف وساءت منا الظنون وضاقت بنا الأرض أتيناه، فما هو إلا أن نراه ونسمع كلامه فيذهب ذلك كله وينقلب انشراحًا وقوة ويقينًا وطمأنينة.

فسبحان من أشهد عباده جنته قبل لقائه، وفتح لهم أبوابها في دار العمل،

فأتاهم من روحها ونسيمها وطيبها ما استفرغ قواهم لطلبها والمسابقة إليها.

وكان بعض العارفين يقول: لو علم الملوك وأبناء الملوك ما نحن فيه لجالدونا عليه بالسيوف.

وقال آخر: مساكين أهل الدنيا، خرجوا منها وما ذاقوا أطيب ما فيها، قيل: وما أطيب ما فيها؟ قال: محبة الله تعالى ومعرفته وذكره. أو نحو هذا.

وقال آخر: إنه لتمر بي أوقات أقول فيها: إن كان أهل الجنة في مثل هذا إنهم لفي عيش طيب.

فمحبة الله تعالى ومعرفته ودوام ذكره والسكون إليه والطمأنينة إليه وإفراده بالحب والخوف والرجاء والتوكل والمعاملة بحيث يكون هو وحده المستولي على هموم العبد وعزماته وإرادته، هو جنة الدنيا والنعيم الذي لا يشبهه نعيم، وهو قرة عين المحبين، وحياة العارفين، وإنما تقر عيون الناس به على حسب قرة أعينهم بالله عز وجل، فمن قرت عينه بالله قرت به كل عين، ومن لم تقر عينه بالله تقطعت نفسه على الدنيا حسرات.

قال الشيخ ابن عثيمين معلقًا على قول ابن تيمية: «جنتي في صدري»: ولعل هذا هو السر في قوله تبارك وتعالى: «لاَ يَذُوقُونَ فِيهَا الْمَوْتَ إِلاَّ الْمَوْتَةَ الأُولَى» [الدخان: ٥٦]. يعني في الجنة لا يذوقون فيها الموت إلا الموتة الأولى، ومعلوم أن الجنة لا موت فيها لا أولى ولا ثانية، لكن لما كان نعيم القلب ممتدًا من الدنيا إلى دخوله الجنة، صارت كأن الدنيا والآخرة كلها جنة وليس فيها إلا موتة واحدة.

قال الله تعالى: «مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً»، فهذا في الدنيا، ثم قال: «وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ»، فهذا في البرزخ والآخرة.

وقال تعالى: «وَالَّذِينَ هَاجَرُوا فِي اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مَا ظُلِمُوا لَنُبَوِّئَنَّهُمْ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَلَأَجْرُ الآخِرَةِ أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ».

وقال تعالى: «وَأَنِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُمَتِّعْكُمْ مَتَاعًا حَسَنًا إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى وَيُؤْتِ كُلَّ ذِي فَضْلٍ فَضْلَهُ»، فهذا في الآخرة.

وقال تعالى: «قُلْ يَا عِبَادِ الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا رَبَّكُمْ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةٌ وَأَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةٌ إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ»، فهذه أربعة مواضيع ذكر الله تعالى فيها أنه يجزي المحسن بإحسانه جزاءين: جزاء في الدنيا وجزاء في الآخرة.

فالإحسان له جزاء معجل ولا بد، والإساءة لها جزاء معجل ولا بد، ولو لم يكن إلا ما يجازى به المحسن من انشراح صدره في انفساح قلبه وسروره ولذاته بمعاملة ربه عز وجل وطاعته وذكره ونعيم روحه بمحبته، وذكره وفرحه بربه سبحانه وتعالى أعظم مما يفرح القريب من السلطان الكريم عليه بسلطانه.

وما يجازى به المسيء من ضيق الصدر وقسوة القلب وتشتته وظلمته وغمه وهمه وحزنه وخوفه، وهذا أمر لا يكاد من له أدنى حسن وحياة يرتاب فيه، بل الغموم والهموم والأحزان والضيق عقوبات عاجلة ونار دنيوية وجهنم حاضرة، والإقبال على الله تعالى والإنابة إليه والرضا به وعنه، وامتلاء القلب من محبته واللهج بذكره والفرح والسرور بمعرفته ثواب عاجل وجنة وعيش لا نسبة لعيش الملوك إليه البتة.

اللهم إنا نسألك الجنة وما قرب إليها من قول وعمل، ونعوذ بك من النار وما قرب إليها من قول وعمل. وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

التأويل بين



الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن والاه، وبعد:

فقد تحدثنا في العدد الماضي عن معنى التأويل وأنواعه، وقلنا: إن التأويل ليس مذمومًا كله، وعن تحريف النصوص عند المبتدعة، وذكرنا منه نوعين: تحريف اللفظ، وتحريف المعنى مع بقاء اللفظ، وفي هذا العدد نكمل الحديث - بعون الله تعالى - عن النوع الثالث للتحريف؛ ألا وهو:

تحريف الأدلة عن مواضعها

هذا النوع من التأويل من الأنواع الخفية جدًا، وقد يقع فيه كثير ممن يريد الخير وهو قليل البضاعة في العلم والفهم، كما أنه مدخل واسع لكثير من البدع، نسأل الله السلامة.

قال الإمام الشاطبي في الاعتصام في شرح هذا النوع من التحريف: «يرد الدليل على مناط فيصرف عن ذلك المناط إلى أمر آخر موهمًا أن المناطين واحد، وهو من خفيات تحريف الكلم عن مواضعه، والعياذ بالله».

ثم قال: «وبيان ذلك: أن الدليل الشرعي إذا اقتضى أمرًا في الجملة مما يتعلق بالعبادات مثلاً فأتى به المكلف في الجملة، كذكر الله والدعاء والنوافل المستحبات وما أشبهها مما يعلم من الشارع فيه التوسعة، كان الدليل عاضدًا لعمله من جهتين: من جهة معناه، ومن جهة عمل السلف الصالح به، فإن أتى المكلف في ذلك الأمر بكيفية مخصوصة أو زمان مخصوص أو مكان مخصوص، أو مقارنًا لعبادة مخصوصة، والتزم ذلك بحيث صار متخيلاً أن الكيفية، أو الزمان، أو المكان، مقصود شرعًا من غير أن يدل الدليل عليه، كان الدليل بمعزل عن ذلك المعنى المستدل عليه».

ثم يذكر الشاطبي مثالاً على ذلك فيقول: «فإذا ندب الشرع مثلاً إلى ذكر الله فالتزم قوم الاجتماع عليه على لسان واحد وبصوت واحد، أو في وقت معلوم مخصوص من سائر الأوقات، ولم يكن في ندب الشرع ما يدل على هذا التخصيص الملتزم، بل فيه ما يدل على خلافه، لأن التزام الأمور غير اللازمة شرعًا شأنها أن تقيد التشريع، وخصوصًا مع من يقتدى به في مجامع الناس كالمساجد، فإنها إذا ظهرت هذا الظهور، ووضعت في المساجد كسائر الشعائر التي وضعها رسول الله £ في المساجد وما أشبهها كالأذان وصلاة العيدين والاستسقاء والكسوف فُهِم منها بلا شك أنها سنن، إذا لم تفهم منها الفرضية، فأحرى ألا يتناولها الدليل المستدل به، فصارت من هذه الجهة بدعًا محدثة بذلك».

قَالَ أَبُو مُوسَى رضي الله عنه لابن مسعود رضي الله عنه: يَا أَبَا عَبْدِ الرَّحْمَنِ إِنِّي رَأَيْتُ فِي الْمَسْجِدِ آنِفًا أَمْرًا أَنْكَرْتُهُ وَلَمْ أَرَ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ إِلا خَيْرًا قَالَ: فَمَا هُوَ ؟ فَقَالَ: إِنْ عِشْتَ فَسَتَرَاهُ، قَالَ: رَأَيْتُ فِي الْمَسْجِدِ قَوْمًا حِلَقًا جُلُوسًا يَنْتَظِرُونَ الصَّلاةَ، فِي كُلِّ حَلْقَةٍ رَجُلٌ وَفِي أَيْدِيهِمْ حَصًى، فَيَقُولُ: كَبِّرُوا مِائَةً فَيُكَبِّرُونَ مِائَةً، فَيَقُولُ: هَلِّلُوا مِائَةً فَيُهَلِّلُونَ مِائَةً، وَيَقُولُ: سَبِّحُوا مِائَةً فَيُسَبِّحُونَ مِائَةً، قَالَ: فَمَاذَا قُلْتَ لَهُمْ ؟ قَالَ: مَا قُلْتُ لَهُمْ شَيْئًا انْتِظَارَ رَأْيِكَ وَانْتِظَارَ أَمْرِكَ، قَالَ: أَفَلا أَمَرْتَهُمْ أَنْ يَعُدُّوا سَيِّئَاتِهِمْ وَضَمِنْتَ لَهُمْ أَنْ لا يَضِيعَ مِنْ حَسَنَاتِهِمْ ؟ ثُمَّ مَضَى وَمَضَيْنَا مَعَهُ حَتَّى أَتَى حَلْقَةً مِنْ تِلْكَ الْحِلَقِ فَوَقَفَ عَلَيْهِمْ فَقَالَ: مَا هَذَا الَّذِي أَرَاكُمْ تَصْنَعُونَ؟ قَالُوا: يَا أَبَا عَبْدِ الرَّحْمَنِ: حَصًى نَعُدُّ بِهِ التَّكْبِيرَ وَالتَّهْلِيلَ وَالتَّسْبِيحَ، قَالَ: فَعُدُّوا سَيِّئَاتِكُمْ فَأَنَا ضَامِنٌ أَنْ لا يَضِيعَ مِنْ حَسَنَاتِكُمْ شَيْءٌ، وَيْحَكُمْ يَا أُمَّةَ مُحَمَّدٍ ؛ مَا أَسْرَعَ هَلَكَتَكُمْ هَؤُلاءِ صَحَابَةُ نَبِيِّكُمْ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مُتَوَافِرُونَ، وَهَذِهِ ثِيَابُهُ لَمْ تَبْلَ، وَآنِيَتُهُ لَمْ تُكْسَرْ، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ إِنَّكُمْ لَعَلَى مِلَّةٍ هِيَ أَهْدَى مِنْ مِلَّةِ مُحَمَّدٍ أَوْ مُفْتَتِحُو بَابِ ضَلالَةٍ !! قَالُوا: وَاللَّهِ يَا أَبَا عَبْدِ الرَّحْمَنِ مَا

أهل السنة والمبتدعة

الحلقة الثانية

إعداد/ معاوية محمد هيكل

أَرَدْنَا إِلا الْخَيْرَ، قَالَ: وَكَمْ مِنْ مُرِيدٍ لِلْخَيْرِ لَنْ يُصِيبَهُ، إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حدثنا أَنَّ قَوْمًا يَقْرَءُونَ الْقُرْآنَ لا يُجَاوِزُ تَرَاقِيَهُمْ، وَايْمُ اللَّهِ مَا أَدْرِي لَعَلَّ أَكْثَرَهُمْ مِنْكُمْ ثُمَّ تَوَلَّى عَنْهُمْ، فَقَالَ عَمْرُو بْنُ سَلَمَةَ:رَأَيْنَا عَامَّةَ أُولَئِكَ الْحِلَقِ يُطَاعِنُونَا يَوْمَ النَّهْرَوَانِ مَعَ الْخَوَارِجِ. السلسلة الصحيحة.

فهؤلاء أتوا بالذكر الشرعي، لكنْ صاحَبه صفة وهيئة وعدد ليس واردًا في الشرع، فاعتبره ابن مسعود رضي الله عنه افتتاح لباب ضلالة.

براءة أهل السنة من التحريف والتعطيل والتمثيل والتشبيه

التعطيل بمعنى التخلية والترك ؛ كقوله تعالى: «وَبِئْرٍ مُعَطَّلَةٍ» [الحج: ٤٥]، أي: مخلاة متروكة.

والمراد بالتعطيل: إنكار ما أثبته الله لنفسه من الأسماء والصفات، سواء كان كليًا أو جزئيًا، وسواء كان ذلك بتحريف أو بجحود، هذا كله يسمى تعطيلاً.

فأهل السنة والجماعة لا يعطلون أي اسم من أسماء الله، أو أي صفة من صفات الله ولا يجحدونها، بل يقرون بها إقرارًا كاملاً.

فإن قلت: ما الفرق بين التعطيل والتحريف ؟

قلنا: التحريف في الدليل والتعطيل في المدلول؛ فمثلاً:

إذا قال قائل: معنى قوله تعالى: «بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ» [المائدة: ٦٤]، أي: بل قوتاه هذا محرف للدليل، ومعطل للمراد الصحيح ؛ لأن المراد اليد الحقيقية؛ فقد عطل المعنى المراد ؛ وأثبت معنى غير المراد، وإذا قال: بل يداه مبسوطتان ؛ لا أدري ! أفوض الأمر إلى الله ؛ لا أثبت يدًا حقيقية، ولا يدًا محرفًا إليها اللفظ؛ نقول: هذا معطل، وليس بمحرف؛ لأنه لم يغير معنى اللفظ، ولم يفسره بغير مراده، لكن عطل معناه الذي يراد به، وهو إثبات اليد لله عز وجل، وأهل السنة والجماعة يتبرءون من الطريقتين: الطريقة الأولى: التي هي تحريف اللفظ بتعطيل معناه الحقيقي المراد إلى المعنى غير المراد، والطريقة الثانية: وهي طريقة أهل التفويض ؛ فهم لا يفوضون المعنى كما يقول المفوضة بل يقولون: نحن نقول: بل يداه ؛ أي يداه الحقيقيتان مبسوطتان، وهما غير القوة والنعمة.

فعقيدة أهل السنة والجماعة بريئة من التحريف والتعطيل، وبهذا نعرف ضلال أو كذب من قالوا: إن طريقة السلف هي التفويض.

فالذين يقولون: إن مذهب أهل السنة هو التفويض؛ أخطأوا ؛ لأن مذهب أهل السنة هو إثبات المعنى وتفويض الكيفية، وليعلم أن القول بالتفويض كما قال شيخ الإسلام ابن تيمية من شر أقوال أهل البدع والإلحاد. [شرح الواسطية للشيخ ابن عثيمين].

أما التمثيل فهو كالتشبيه، وهو اعتقاد مشابهة الخالق بالمخلوقين، وتمثيل صفاته بصفاتهم، وهو ينقسم إلى قسمين:

الأول: تشبيه المخلوق بالخالق، وذلك كتشبيه النصارى المسيح ابن مريم بالله، وكتشبيه اليهود عزيرًا بالله، وكتشبيه المشركين أصنامهم بالله، تعالى الله عن قولهم علوًا كبيرًا.

> عقيدة أهل السنة والجماعة بريئة من التحريف والتعطيل وبهذا يتبين ضلال من قالوا إن طريقة السلف في نصوص الصفات هي التفويض

الثاني: كتشبيه المشبهة الذين يشبهون الله بخلقه، فيقولون: له وجه كوجه المخلوق، ويد كيد المخلوق، وسمع كسمع المخلوق، ونحو ذلك، تعالى الله عن قولهم علواً كبيراً.

براءة أهل السنة من تكييف صفات الله عز وجل

التكييف: هو أن تذكر كيفية الصفة، ولهذا تقول: كيَّف يكيِّفُ تكييفًا، أي ذكر كيفية الصفة. والفرق بين التكييف والتمثيل: أن التكييف: أن يعتقد أن صفاته تعالى على كيفية كذا، أو يسأل عنها بكيف، وأما التمثيل فهو اعتقاد أنها مثل صفات المخلوقين.

قال الشيخ خليل هراس – رحمه الله –: وليس المراد من نفي التكييف نفي الكيف مطلقًا، فإن كل شيء لابد أن يكون على كيفية ما، وصفات الله عز وجل لها كيفية، ولكن لا تصل إليها عقولنا كما قال تعالى: «لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ» [الشورى: ١١]، وقال تعالى: «هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا» [مريم: ٦٥]، ولكن المراد من نفي الكيف نفي علمنا بالكيف، إذ لا يعلم كيفية ذاته وصفاته عز وجل إلا هو سبحانه، ولما سئل إمام دار الهجرة عن قوله تعالى: «الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى» [طه: ٥]، قال: الاستواء معلوم، والكيف مجهول، والسؤال عنه بدعة. (شرح الواسطية).

اعترافات علماء الكلام بذم التأويل الكلامي

وشهد شاهد من أهلها، فقد أدان علماء الكلام أنفسهم وندموا على اشتغالهم بعلم الكلام وتبرءوا مما قالوا فمن ذلك:

قال الرازي في آخر حياته: لقد تأملت الطرق الكلامية والمناهج الفلسفية فما رأيتها تشفي عليلاً ولا تروي غليلاً، ورأيت أقرب الطرق: القرآن، أقرأ في الإثبات: «الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى»، و«إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ»، وأقرأ في النفي: «لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ»، و«وَلاَ يُحِيطُونَ بِهِ عِلْمًا»، و«هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا»، ثم قال: «من جرب مثل تجربتي عرف مثل معرفتي». (شرح العقيدة الطحاوية).

وقال أيضًا:

نهاية إقدام العقول عقال
وأكثر سعي العالمين ضلال
وأرواحنا في وحشة من جسومنا
وغاية دنيانا أذى ووبال
ولم نستفد من بحثنا طول عمرنا
سوى أن جمعنا فيه قيل وقالوا

وقال أبو المعالي الجويني: «لقد خضت البحر الخضم، وغصت في الذي نهوا عنه، كل ذلك في طلب الحق، وهربًا من التقليد، والآن فقد رجعت إلى الكلمة الحق بلطيف بره فأموت على دين العجائز، ويختم عاقبة أمري عند الرحيل بكلمة الإخلاص، فالويل لابن الجويني».

وقال أيضًا: يا أصحابنا لا تشتغلوا بالكلام فلو عرفتُ أن الكلام يبلغ بي ما بلغ ما اشتغلت به.

وقال أبو حامد الغزالي – عفا الله عنه –: من أشد الناس غلوًا وإسرافًا طائفة من المتكلمين، كفَّروا عوام المسلمين، وزعموا أن من لا يعرف الكلام معرفتنا ولم يعرف العقائد الشرعية بأدلتها التي حررناها فهو كافر، فهؤلاء ضيقوا رحمة الله على عباده أولاً، وجعلوا الجنة وقفًا على شرذمة يسيرة من المتكلمين.

قال الرازي في آخر حياته: لقد تأملت الطرق الكلامية والمناهج السفلية فما رأيتها تشفي عليلاً ولا تروي غليلاً. ورأيت أقرب الطرق القرآن

وقال أيضًا: وأما الخلافيات التي أحدثت في العصور المتأخرة، وأبدع فيها من التحريرات والتصنيفات والمجادلات ما لم يعهد مثلها في السلف، فإياك أن تحوم حولها، واجتنبها اجتناب السم القاتل، فإنها الداء العضال واحترز من شياطين الإنس، فإنهم أراحوا شياطين الجن من التعب في الإغواء والإضلال.

وقال أيضًا في كتابه «إلجام العوام عن علم الكلام»: «اعلم أن الحق الصريح الذي لا مراء فيه عند أهل البصائر هو مذهب السلف، أعني الصحابة والتابعين».

ثم قال: «إن البرهان الكلي على أن الحق في مذهب السلف وحده ينكشف بتسلم أربعة أصول مسلمة عند كل عاقل».

ثم بينها فقال: الأول من تلك الأصول أن النبي ﷺ هو أعرف الخلق بصلاح أحوال العباد في دينهم ودنياهم.

الأصل الثاني: أنه بلغ كما أوحي إليه ولم يكتم منه شيئًا.

الأصل الثالث: أن أعرف الناس بمعاني كلام الله وأحراهم بالوقوف على أسراره هم أصحاب رسول الله ﷺ الذين لازموه وحضروا التنزيل.

الأصل الرابع: أن الصحابة رضي الله عنهم في طول عصرهم إلى آخر أعمارهم ما دعوا الخلق إلى التأويل، ولو كان التأويل من الدين أو علم الدين لأقبلوا عليه ودعوا إليه أولادهم وأهلهم.

ثم قال الغزالي: «وبهذه الأصول الأربعة المسلمة عند كل مسلم نعلم بالقطع أن الحق ما قالوه والصواب ما رأوه». اهـ. (انظر أضواء البيان للشنقيطي، والمنتظم لابن الجوزي ٩ / ١٧).

وبعد، فقد بان واتضح أن أساطين القول بالتأويل الكلامي الفلسفي قد اعترفوا بأن تأويلهم لا مستند له، وأن الحق هو اتباع منهج السلف، فلله الحمد والمنة.

وختامًا فعقيدة أنصار السنة في هذا الباب مصدرها القرآن والسنة على طريقة سلف الأمة، فنؤمن بكل ما وصف الله به نفسه ووصفه به رسوله ﷺ من غير تعطيل ولا تحريف، ومن غير تكييف ولا تمثيل، وليس العقل وعلم الكلام والفلسفة مصدرًا في معرفة ذلك، ولا يجوز تشبيه الله بخلقه ولا تعطيل صفة من صفاته سبحانه، قال الله تعالى: «وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ»، وقال تعالى: «لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ»، والكف عن التأويل في هذا الباب هو إجماع السلف لا تجوز مخالفته إذ إجماعهم حجة على من بعدهم، وطريقتهم أسلم وأعلم وأحكم.

﴿ عقيدة أنصار السنة في باب الأسماء والصفات مصدرها القرآن والسنة على طريقة سلف الأمة فنؤمن بكل ما وصف الله عز وجل به نفسه ووصفه به رسوله ﷺ ﴾

والتأويل بدعة وليس من عقيدة أهل السنة والجماعة والكلام في الصفات فرع عن الكلام في الذات، فكما أن إثبات ذات الرب إثبات وجود، لا إثبات تكييف، فكذلك إثبات الصفات إثبات وجود لا إثبات تكييف، والسلف يثبتون الصفة دالة على معناها، مع تفويض الكيفية إلى الله تعالى، فتفويض السلف تفويض كيف لا تفويض معنى، ومن نسب إليهم تفويض المعنى وأن آيات الصفات من المتشابه بمعنى أنه لا يعلم معناها بالكلية، وأن ظاهرها غير مراد فقد جمع بين التعطيل والجهل بعقيدة السلف.

فالخير كل الخير في اتباع من سلف، والشر كل الشر في ابتداع من خلف.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.



إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونتوب إليه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، صلى الله وسلم وبارك عليه وعلى آله وصحبه ومن اقتفى أثره واهتدى بهداه وسلك سبيله إلى يوم الدين.

أما بعد: فنكمل حديثنا حول العلامة الشيخ عبدالرزاق عفيفي - رحمه الله.

آثار الشيخ العلمية ومؤلفاته

كان للشيخ رحمه الله ندرة في التأليف سببها تواضعه وتورعه رحمه الله، فمع غزارة علمه وسعة إدراكه وتبحره في علوم شتى، إلا أنه لم يعرف له إلا آثار قليلة، منها: «مذكرة في التوحيد»، و«حاشية على تفسير الجلالين»، وتعليق على كتاب «الإحكام في أصول الأحكام» للآمدي، كما أن له تعليقات يسيرة محفوظة على عدد من كتب العقيدة، كما أن له مقالات وكتابات في مجلة التوحيد والهدي النبوي، وله مجموعة من المحاضرات والدروس والمناقشات العلمية وفتاوى متنوعة جديرة بالعناية والرعاية والاهتمام، وعسى الله أن ييسر إخراجها حتى ينفع الله بها طلاب العلم والباحثين والمهتمين بالتحقيق، إنه جواد كريم.

وسنتكلم عن أهمية المنهج في مباحث على النحو التالي:

معالم منهج الشيخ عبدالرزاق الأصولي

ومع استفادة الشيخ رحمه الله من مناهج من سبقه، إلا أنه تميز بعدد من المعالم التي تميز منهجه رحمه الله.

وقبل أن أذكر هذه المعالم تفصيلاً أذكر منهجه إجمالاً كما ذكره هو رحمه الله في مقدمة تعليقه على كتاب الإحكام، فقد تحدث في مقدمته عن علم الأصول وأهميته ومناهج العلماء فيه، وأثنى على كتب المحققين منهم، ودعا إلى الاستفادة من طريقتهم لسلامة عقيدتهم، وحرصهم على النصوص، وسلوكهم مسلك الإيضاح والبيان والاختصار، وبعدهم عن الجدل وعلم الكلام، وعنايتهم باللغة العربية وكثرة الأمثلة والتفريع.. إلى آخر ما ذكره رحمه الله عن منهجهم الذي سار عليه، ثم بين عمله في الكتاب بعد أن أثنى على كتاب الآمدي وعلو أسلوبه ووضوح عبارته، فقال: «لذا اقتصرت على نقد دليل أو التنبيه على خطأ في رأي أو تأويل نص أو بيان ضعف حديث أو تصحيح لتحريف في الأصول التي طبع عليها قدر الطاقة مع الإيجاز ولم أستقص في ذلك».

ومما يرسم منهجه إجمالاً قوله أيضًا بعدما ذكر مناهج الأصوليين: «وأسعدهم بالحق من كانت نزعته إلى كتاب الله وسنة رسوله ﷺ ووسعه ما وسع السلف مع رعاية ما ثبت من مقاصد الشريعة باستقراء

نصوصها، فكلما كان العالم أرعى لذلك، وألزم له كان أقوم طريقًا وأهدى سبيلاً».

ومن يقرأ مقدمته رحمه الله يجد ملامح ومعالم منهجه مجملة، لذلك فسأفصل القول فيما أجمله عن طريق وضع معالم رئيسة مدعمة بالنماذج الحية على ما رسمه رحمه الله.

المبحث الأول: المعلم الأول: اهتمامه رحمه الله بإبراز عقيدة السلف ونقده ما يخالفها:

وهذا هو المعلم المهم والرئيس في منهج الشيخ رحمه الله، فمن المعلوم أن مناهج الأصوليين قد تأثرت بعلم الكلام واستقت من بعض المناهج العقدية المخالفة لمنهج السلف في العقيدة لا سيما المعتزلة والأشاعرة.

لذا كان الشيخ رحمه الله مهتما بإبراز عقيدة السلف في المسائل الأصولية التي لها علاقة بالعقيدة، ولما كان سيف الدين الآمدي رحمه الله علمًا في مذهب الأشاعرة تعقبه الشيخ رحمه الله في مواضع كثيرة، أذكر منها نماذج تثبت أهمية هذا المعلم في منهج الشيخ رحمه الله.

النموذج الأول: عند كلام الآمدي عن العلم وانقسامه إلى قديم وحادث، وجعله علم الله تعالى من القديم، عقب الشيخ رحمه الله بقوله: «وصف علم الله أو غيره من صفاته بالقدم لم يرد في نصوص الشرع وهو يوهم نقصًا».

ويزيد الشيخ رحمه الله هذه القضية جلاء في تعليق له على إطلاق الآمدي اسم القديم على الله سبحانه، فيقول الشيخ رحمه الله ما نصه: «أسماء الله وصفاته توقيفية ولم يرد في كتابه سبحانه ولا في سنة رسوله ﷺ تسميته بالقديم ولا إضافة القديم إليه أو إلى صفة من صفاته سبحانه، فيجب ألا يسمى سبحانه بذلك وألا يضاف إليه، وخاصة أن القدم يطلق على ما يذم كالبلي وطول الزمن وامتداده في الماضي وإن كان لمن اتصف به ابتداء في الوجود».

النموذج الثاني: وفي مسألة التحسين والتقبيح استدل المصنف الآمدي على مذهب الأشاعرة في منع التحسين والتقبيح العقليين بقوله: «السابعة: أن أفعال العبد غير مختارة له»، ثم رد عليه بكلام عقلي لا يفيد الرد على الجبرية، فعلق الشيخ رحمه الله بقوله: «وأيضًا هو مبني على أن العبد مجبور على ما يصدر من الأفعال وهو باطل».

وكلام الشيخ كما ترى يبين مذهب السلف في باب القدر، وأن للعبد مشيئة واختيارًا خلافًا للجبرية، وأنهم مجبورون على ما يصدر منهم من أفعال.

كما بين الشيخ رحمه الله في مبحث التكليف بما لا يطاق مذهب السلف في القدر ومخالفتهم للمعتزلة والجبرية.

وفصل مذهب السلف في القدرة من العباد على الأفعال في كلام نفيس لولا خشية الإطالة لنقلته بنصه.

النموذج الثالث: ونموذج ثالث في حرص الشيخ رحمه الله على إبراز عقيدة السلف والرد على المخالفين لها يظهر في مبحث المتشابه، حيث عد الآمدي جملة من آيات الصفات من المتشابه بإطلاق، وادعى أنها مجازات تحتاج إلى تأويل، كمثل قوله تعالى: «وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ» [الرحمن: ٢٧]، «مِمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَا» [يس: ٧١]، «اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ» [البقرة: ١٥]، «وَمَكَرُوا وَمَكَرَ اللَّهُ» [آل عمران: ٥٤]، «وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ» [الزمر: ٦٧]. ثم قال بعدها: «ونحوه من الكنايات والاستعارات المؤولة بتأويلات مناسبة لإفهام العرب».

وقد علق الشيخ رحمه الله على ذلك بقوله: «لله سبحانه وجه ويمين حقيقة على ما يليق بجلاله، فإسنادهما إليه في الآيات والأحاديث لا يجوز فيه، ويطوي سبحانه السماوات بيمينه، ويجيء هو نفسه يوم القيامة حقيقة على ما يليق بكماله، وجاء إسناد البقاء إلى الوجه في الآية على معهود العرب في كلامهم وتعبيرهم بمثل ذلك عن بقاء الشيء وصفاته جميعًا، واستهزاء الله ومكره بمن استهزأ بأوليائه وسخر منهم ومكر بهم حق على وجه يليق به مع كمال علم بما دبر، وإحكام له وعدل فيه، وقدرة على الانتقام بدونه بخلاف عباده، فقد يكون في مكرهم وتدبيرهم قصور وضعف في التنفيذ وجور في الخصوم وعجز عن الانتقام بدونه، إلا بعناية من الله وتسديد لعبده، فمن خطر بفكره عند تلاوة نصوص الأسماء والصفات استلزامها أو إيهام ظاهرها ما لا يليق بالله من تشبيه بخلقه فذلك من سقم فكره ووقوفه عند معهود حسه وقياسه ربه على خلقه، لا من كلام الله ولا من حديث رسوله ﷺ، فشبه أولاً، وظن السوء بالله وبرسوله ونصوص الشريعة ثانيًا، فاعتقد أن ظاهر ما ثبت عنهما يدل على التشبيه، واجتهد في تحريفها عن مواضعها وتاويلها على غير وجهها ثالثًا، دون بينة من الله تهديه الطريق، فانتهى به التعسف إلى التعطيل ونفى ما رضيه الله تعالى لنفسه ورضيه له رسوله ﷺ من الأسماء والصفات، تعالى الله عن ذلك علوًا كبيرًا».

وهكذا أبان الشيخ رحمه الله في هذا الأنموذج عقيدة السلف في صفات الله عز وجل وأنها حق تثبت على حقيقتها من غير تأويل ولا تعطيل ولا تشبيه ولا تمثيل على حد قوله سبحانه: «لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ» [الشورى: ١١].

خلافًا لما عليه المعتزلة المعطلة والأشاعرة المؤولة، فأبدع رحمه الله وانتصر لعقيدة السلف بالدليل النقلي لا بالعقل المجرد.

ونكمل حديثنا عن منهج الشيخ - رحمه الله - في الحلقة القادمة بإذن الله تعالى.



من نور كتاب الله

من صفات المؤمنين

يقول الله تعالى:
«إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ (٢) الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ»
[الأنفال: ٢، ٣].

من هدي رسول الله £

في شهر شعبان

عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنهـا قالت: لم يكن النبي £ يصوم من شهر أكثر من شعبان فإنه كان يصوم شعبان كله. وفي رواية: كان يصوم شعبان إلا قليلاً. [متفق عليه].

من جوامع الدعاء

عن أنس بن مالك أن النبي £ كان يقول: اللهم اني أعوذ بك من العجز والكسل والجبن والهرم وأعوذ بك من فتنة المحيا والممات وأعوذ بك من عذاب القبر. [الأدب المفرد].

من دلائل النبوة

عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: جاء أعرابي إلى رسول الله £ فقال: بم أعرف أنك نبي قال: إن دعوت هذا العذق من هذه النخلة، أتشهد أني رسول الله فدعاه رسول الله £، فجعل ينزل من النخلة (أي العذق) حتى سقط إلى النبي £، ثم قال ارجع فعاد فأسلم الأعرابي. [سنن الترمذي].

من فضائل الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين

فضل معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه

عن أبي إدريس الخولاني قال: لما عزل عمر بن الخطاب عمير بن سعد عن حمص ولى معاوية فقال الناس عزل عميرا وولى معاوية فقال عمير لا تذكروا معاوية إلا بخير فإني سمعت رسول الله £ يقول اللهم أهد به. [سنن الترمذي].

حكم ومواعظ

قال ميمون بن مهران: الصبر صبران: فالصبر على المصيبة حسن، وأفضل منه الصبر عن المعصية.

عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال: من زهد في الدنيا، هانت عليه المصائب، ومن ارتقب الموت، سارع في الخيرات. [تسلية أهل المصاب].





إعداد/ علاء خضر

علامات منهج أهل السنة

قال الشاطبي في باب ذم البدع: و حكى ابن بطال في شرح البخاري عن أبي حنيفة أنه قال: لقيت عطاء بن أبي رباح بمكة فسألته عن شيءٍ، فقال: من أين أنت ؟ قلت: من أهل الكوفة، قال: أنت من أهل القرية الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعاً ؟ قلت: نعم، قال: من أي الأصناف أنت، قلت: ممن لا يسب السلف، ويؤمن بالقدر ولا يكفر أحداً بذنب، فقال عطاء: عرفت فالزم. [الاعتصام].

أحاديث باطلة لها آثار سيئة

«لو أحسن أحدكم ظنه بحجر لنفعه الله به»؛ أورده الحافظ العجلوني في «كشف الخفاء» (٢ / ١٥٢)، ونقل عن ابن تيمية أنه كذب وعن ابن حجر أنه لا أصل له وعن صاحب «المقاصد» أنه لا يصح، ونقل عن ابن القيم قوله: «هو من كلام عباد الأصنام الذين يحسنون ظنهم بالأحجار» [التوسل للألباني].

من أمثالنا العربية

«أَخْبَرْتُهُ بِعُجَرِي وَبُجَرِي». قال أبو عبيد: أصل العُجَر العروقُ المتعقدة، والبُجَر: أن تكون تلك العروق في البطن خاصة يضرب لمن تخبره بجميع عيوبك ثقةً به. [مجمع الأمثال].

من نصائح السلف

عن الضحاك قال: كتب عمر بن الخطاب رضي الله عنه إلى أبي موسى الأشعري: أما بعد! فإن القوة في العمل أن لا تؤخروا عمل اليوم لغد، فإنكم إذا فعلتم ذلك تداركت عليكم الأعمال، فلا تدرون أيها تأخذون فأضعتم، فإن خيرتم بين أمرين أحدهما للدنيا والآخر للآخرة فاختاروا أمر الآخرة على أمر الدنيا، فإن الدنيا تفنى والآخرة تبقى، كونوا من الله على وجل، وتعلموا كتاب الله فإنه ينابيع العلم وربيع القلوب.

من درر العلماء

قال العلامة الألباني رحمه الله في مقدمة كتاب مختصر العلو للذهبي: والأصل في هذا أن الكلام في الصفات فرع على الكلام في الذات ... فإذا قلنا: لله تعالى يد وسمع وبصر فإنما هي صفات أثبتها الله تعالى لنفسه ولا نقول: إن معنى اليد القدرة ولا إن معنى السمع والبصر العلم ولا نقول: إنها جوارح ولا نشبهها بالأيدي والأسماع والأبصار التي هي جوارح وأدوات للفعل ونقول: إنما وجب إثباتها لأن التوقيف ورد بها ووجب نفي التشبيه عنها لقوله تبارك وتعالى: «لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ»، وقوله عز وجل «وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ». [مختصر العلو].

صحح لغتك

الحضور قاصر على ... والصواب الحضور مقصور على، لأن قاصر تعني: عاجز أو ناقص الأهلية، أما مقصور فاسم مفعول بمعنى أنك تقصر الحضور على من تريد.

أثر السياق



الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين، وبعد:

للسياق دور كبير في توجيه دلالات الأمر والنهي، فالقرائن السياقية تعمل على توجيه معنى الأمر والنهي إلى المعنى المقصود به، كما سنرى:

إعداد/ متولي البراجيلي

أثر السياق في بيان دلالة الأمر

أولاً: الصيغ الدالة على الأمر:

الصيغ الدالة على الأمر أربع:

أ- فعل الأمر، نحو: «أَقِمِ الصَّلَاةَ» [الإسراء: ٧٨].

ب- الفعل المضارع المقترن بلام الأمر، نحو: «فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ» [النور: ٦٣].

جـ- اسم فعل الأمر، نحو: «عَلَيْكُمْ أَنْفُسَكُمْ» [المائدة: ١٠٥]، ونحو قول المؤذن: «حي على الصلاة».

فائدة: الفرق بين فعل الأمر واسم فعل الأمر:

أولاً: كلاهما يدل على الطلب.

ثانيًا: الفرق بينهما: أن ما يقبل العلامة فهو فعل أمر، وما لا يقبل العلامة ودل على الأمر فإنه اسم فعل أمر، والعلامة: إما نون التوكيد، أو ياء المخاطبة.

و«اضرب» يقبل العلامة، تقول: اضربنَّ، وتقول: اضربي.

فما دل على الطلب مع قبول نون التوكيد، أو ياء المخاطبة فهو فعل أمر، وما دل على الطلب ولم يقبلها فهو اسم فعل أمر، مثل: حي على الصلاة. (شرح الأصول لابن عثيمين).

د- المصدر النائب عن فعله، نحو: «فَإِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا فَضَرْبَ الرِّقَابِ» [محمد: ٤]، فضرب هنا مصدر نائب عن فعل الأمر.

فالتقدير إذا لقيتم الذين كفروا فاضربوا الرقاب.

وقد يستفاد طلب الفعل من غير صيغة الأمر بقرائن، مثل أن يوصف بأنه فرض، فإذا وصف بأنه فرض فإنه مأمور به، ومفروض علينا، مثل قوله تعالى لما ذكر أصناف الزكاة، قال: «فَرِيضَةً مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ» [التوبة: ٦٠].

وقال النبي ﷺ لمعاذ: «أعلمهم أن الله افترض عليهم خمس صلوات..» الحديث. (متفق عليه).

ثانيًا: معاني الأمر:

الأمر له معانٍ كثيرة، منها:

١- الإيجاب، نحو قوله تعالى: «وَأَنْ أَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَاتَّقُوهُ» [الأنعام: ٧٢].

٢- الندب (الاستحباب) نحو قوله تعالى: «فَكَاتِبُوهُمْ إِنْ عَلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْرًا» [النور: ٣٣]، والمكاتبة مندوبة عند الأكثرين.

٣- الإرشاد، نحو قوله تعالى: «وَأَشْهِدُوا إِذَا تَبَايَعْتُمْ» [البقرة: ٢٨٢].

٤- الإباحة: نحو قوله تعالى: «وَإِذَا حَلَلْتُمْ فَاصْطَادُوا» [المائدة: ٢].

إلى غير ذلك، تصل إلى ستة عشر معنى، ومنهم من أوصلها إلى ستة وعشرين معنى.

ثالثًا: هل الأصل في الأمر الوجوب؟

ذكر جماعة من الأصوليين أن القول بدلالة الأمر على الوجوب هو قول الجمهور، خلافًا لبعضهم، وبوَّب الإمام البخاري: باب نهي النبي ﷺ على التحريم إلاَّ ما تعرف إباحته وكذلك أمره. أي أن الأصل في النهي التحريم إلا لقرينة، وكذلك أمره: أي أن الأصل في الأمر الوجوب إلا لقرينة.

ومن الأدلة على ذلك:

أ- من القرآن الكريم:

قوله تعالى: «فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ» [النور: ٦٣].

ولو لم يكن الأمر للوجوب لما رتَّب الله على مخالفته إصابة الفتنة أو العذاب الأليم.

في فهم النص

الحلقة السابعة

وقوله تعالى: «وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلاَ مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ» [الأحزاب: ٣٦]. فنفى الله عن المؤمنين الخيرة إذا ورد الأمر، وهذا هو معنى الوجوب والإلزام.

وقوله تعالى على لسان موسى عليه السلام مخاطبًا أخاه هارون: «أَفَعَصَيْتَ أَمْرِي» [طه: ٩٣].

مع قوله تعالى: «وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُ يُدْخِلْهُ نَارًا خَالِدًا فِيهَا وَلَهُ عَذَابٌ مُهِينٌ» [النساء: ١٤].

وجه الاستدلال: أن الآية الأولى جعلت مخالفة الأمر معصية، والآية الثانية جعلت المعصية سببًا لدخول جهنم.

فهاتان الآيتان تدلان بمجموعهما على أن الأمر للوجوب.

ب- من السنة:

قوله ﷺ: «لولا أن أشق على أمتي - أو على الناس - لأمرتهم بالسواك مع كل صلاة». (متفق عليه).

ومعلوم أنه ﷺ ندب أمته إلى السواك، والندب غير شاق، فدل على أن الأمر يقتضي الوجوب، فإنه لو أمر لوجب وشق.

والحديث يدل على بطلان القول بأن الأمر للندب، حيث نفى الرسول ﷺ أن يكون أمر أمته بالسواك، مع أنه ندبهم إليه بلا خلاف، فهذا يدل على أن الأمر لما هو أعلى من الندب، والأعلى من الندب هو الوجوب.

ولما جاء في الصحيح أن النبي ﷺ دعا أبي بن كعب وهو يصلي فلم يجبه، فلما قضى صلاته جاء، فقال: لم يمنعني من إجابتك إلا أني كنت أصلي، فقال له النبي ﷺ: ألم تسمع قول الله تعالى: «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ» [الأنفال: ٢٤]. (صحيح البخاري).

فهذا الحديث يدل على أن الأمر يفيد الوجوب، لأن الرسول ﷺ لام أُبي بن كعب على عدم فهمه الوجوب من الآية.

جـ- إجماع الصحابة - رضي الله عنهم - على امتثال أوامر الله تعالى ووجوب طاعته من غير سؤال النبي ﷺ - عما عنى بأوامره. ومن غير البحث عن قرينة، كما رجعوا إلى حديث النبي ﷺ في الطاعون: «إذا سمعتم به بأرض فلا تقدموا عليه، وإذا وقع بأرض وأنتم بها فلا تخرجوا فرارًا منه». (متفق عليه).

د- أن أهل اللغة عقلوا من إطلاق الأمر الوجوب، لأن السيد لو أمر عبده فخالفه، حَسُن عندهم لومه، وَحَسُنَ العذر في عقوبته بأنه خالف الأمر، والواجب ما يعاقب على تركه. (معالم أصول الفقه للجيزاني، أصول الفقه الذي لا يسع الفقيه جهله، للسلمي).

ويرى الغزالي أن العلماء متفقون على دلالة الأمر على الوجوب، والخلاف المحكي في المسألة إنما هو متجه نحو دلالة صيغة (افعل) على الأمر.

قال الغزالي: إن قول الشارع: أمرتكم بكذا أو أنتم مأمورون بكذا، أو قول الصحابي: أُمرت بكذا، كل ذلك صيغ دالة على الأمر، وإذا قال: أوجبت عليكم أو أو فرضت عليكم أو أمرتكم بكذا أو أنتم معاقبون على تركه فكل ذلك يدل على الوجوب. (آراء الإمام البخاري الأصولية من خلال تراجم صحيحه، د. سعد بن ناصر الشثري).

وقد قال بعضهم إن الأصل في الأمر الندب، على اعتبار أن الأمر طلب الفعل، وهذا يتحقق بحمله على الندب فلا نزيد عليه.

واستدلوا بأن أوامر الكتاب والسنة بعضها محمول على الندب وبعضها محمول على الوجوب.

ويُجاب عن هذا بأنَّ المحمول على الندب منها وُجدت قرائن تصرفه عن الوجوب، وكلامنا فيما لم توجد معه قرينة صارفة.

وقولهم: الأمر طلب، والندب هو المتيقن فيحمل عليه ؛ يُجاب بأن الأمر طلب الفعل من الأعلى رتبة،

وأدلة الشرع السابقة دلت على حمله على الوجوب، والاحتياط يقتضي ذلك، إذ أن حمله على الندب ربما دفع المكلف إلى الترك، وهو مراد به الوجوب فيأثم، وإذا حمله على الوجوب فعله وسلم من الإثم...

والمتتبع لكلام الفقهاء يجدهم يحملون الأمر على الوجوب، إلا إذا وجدت قرينة صارفة أو عارض الأمر دليل آخر. (أصول الفقه الذي لا يسع الفقيه جهله، د. عياض ابن نامي السلمي).

وذكر الشيخ ابن عثيمين - رحمه الله - في «شرح منظومة القواعد والأصول» (١/٥٠)، وفي «مجموع الفتاوى» (١٧/٢٠١): أن بعض أهل العلم ذكر أن الأمر عندما لا يكون للتعبد، وإنما في الآداب والأخلاق أنه لا يكون للوجوب، وإنما يكون للاستحباب، وكذلك النهي عندما يكون في الآداب والأخلاق فإنه يكون للكراهة.

وقال الشيخ معقبًا على ذلك في «شرح الأصول من علم الأصول» (١/١٥٨):... لكن الجمهور على خلاف ذلك، يقولون: أوامر الشرع كلها عبادة، حتى ما يتعلق بالعادة فهو عبادة.

وكذلك ذكر الشيخ صالح بن عبد العزيز آل الشيخ في شرحه على «متن الورقات» للجويني:.. قالوا: من القرائن (أي التي تنقل الخبر من الوجوب إلى الاستحباب) أن يكون الخبر في صفة في المعاملات المالية، ليس في أركانها ولا شروطها، إنما هو في صفتها فيكون الأمر للاستحباب، مثل الإشهاد في البيع...

كذلك قالوا: إذا كان الأمر في أنواع الآداب، مثل آداب الأكل، وآداب الشرب، وآداب التخلي، ونحو ذلك، فلو أُمر به فإن قرينة كونه من الآداب تصرفه عن الوجوب للاستحباب.

رابعًا: السياق وتوجيه دلالة الأمر:

رأينا أن الراجح - وهو ما عليه الجمهور - أن الأصل في الأمر الوجوب، فإذا ما جاءنا الأمر من الله تعالى أو من النبي ﷺ، فإننا نحمله على الوجوب، إلاَّ لو جاءت قرينة تنزل به من درجة الوجوب إلى الندب (الاستحباب).

والذي يحدد دلالة الأمر هو السياق بأقسامه التي بيناها في البحث سابقًا.

أمثلة على وجوب الأمر:

الأمثلة على ذلك كثيرة جدًا، سواء من كتاب الله تعالى أو من سنة رسول الله ﷺ، فمن القرآن:

قوله تعالى: «وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ» [البقرة: ١١٠].

- وقوله تعالى: «وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ» [آل عمران: ٩٧].

- وقوله تعالى: «وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا» [المائدة: ٣٨].

- وقوله تعالى: «الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا مِئَةَ جَلْدَةٍ» [النور: ٢].

ومن سنة النبي ﷺ: حديث: «صلوا كما رأيتموني أصلي».

هذا استُدل به على وجوب خطبة الجمعة لأن النبي ﷺ كان يفعلها ويداوم عليها، ولم يثبت أنه تركها إلى أن لقي ربه سبحانه وتعالى. وكذلك استدل به على وجوب أركان الصلاة المختلفة.

- حديث ابن عمر رضي الله عنهما: فرض رسول الله ﷺ زكاة الفطر صاعًا من تمر أو صاعًا من شعير على العبد والحر، والذكر والأنثى، والصغير والكبير من المسلمين. (متفق عليه).

واستُدل به على وجوب زكاة الفطر، ولم تأت قرينة بصرفه عن الوجوب.

حديث أبي هريرة رضي الله عنه: خطب رسول الله ﷺ الناس، فقال: إن الله تعالى قد فرض عليكم الحج. فقام رجل فقال: أفي كل عام؟ فسكت عنه، حتى أعاده ثلاثًا. فقال: لو قلت نعم لوجبت.. الحديث. (صحيح مسلم).

فبين ﷺ في هذا الحديث بيانًا لا إشكال فيه أن كل ما أمر به فهو واجب.

- حديث معاذ بن جبل رضي الله عنه، قال: خرجنا مع رسول الله ﷺ عام غزوة تبوك، فكان يجمع الصلاة، فصلى الظهر والعصر جميعًا، والمغرب والعشاء جميعًا، حتى إذا كان يومًا أخّر الصلاة ثم خرج فصلى الظهر والعصر جميعًا، ثم دخل، ثم خرج بعد ذلك فصلى المغرب والعشاء جميعًا، ثم قال: إنكم ستأتون غدًا إن شاء الله تعالى عين تبوك، وإنكم لن تأتوها حتى يضحي النهار فمن جاءها منكم فلا يمس من مائها شيئًا حتى آتي. فجئناها وقد سبقنا إليها رجلان والعين مثل الشراك تبض بشيء من ماء، قال: فسألهما رسول الله ﷺ: هل مسستما من مائها شيئًا؟ قالا: نعم، فسبهما النبي ﷺ وقال لهما ما شاء الله أن يقول.. الحديث. (صحيح مسلم وغيره).

- فهذان استحقا السبَّ من النبي ﷺ ؛ لخلافهما نهيه عن مس الماء، ولم يكن هناك وعيد متقدم، مثبت أن أمره على الوجوب كله إلا ما خصَّه نص، ولولا أنهما تركا واجبًا ما استحقا سب رسول الله ﷺ .

- وقد سألت بريرة النبي ﷺ إذ قال لها لو راجعتيه (يعني النبيُّ ﷺ زوجها مغيثًا)، قالت: يا رسول الله، تأمرني ؟ فقال النبي ﷺ : إنما أنا أشفع. قالت: لا حاجة لي فيه. (صحيح البخاري).

ففرَّق ﷺ كما ترى بين أمره وشفاعته، فثبت أن الشفاعة لا توجب على أحد فعل ما شفع فيه عليه الصلاة والسلام، وأن أمره بخلاف ذلك: وليس فيه إلا الإيجاب فقط. (الإحكام لابن حزم ٣/٢٧٤).

وقد قال تعالى: «وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلاَ مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلاَلاً مُبِينًا» [الأحزاب: ٣٦].

فلو كان أمر الله تعالى وأمر رسوله على الندب (الاستحباب)، لكان خيّر الله تعالى المؤمنين في الفعل وعدمه، لأن الندب تخيير، إن شئت فعلت ولك أجر، وإن شئت لم تفعل وليس عليك وزر.

فلما قطع الله الاختيار وأبطله، فقد لزم الوجوب ضرورة في جميع أوامر الله تعالى وأوامر رسوله ﷺ .

أمثلة على صرف الأمر من الوجوب إلى غيره بقرينة:

١- قال تعالى: «وَالَّذِينَ يَبْتَغُونَ الْكِتَابَ مِمَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ فَكَاتِبُوهُمْ إِنْ عَلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْرًا» [النور: ٣٣]، والأمر بالمكاتبة هنا ليس على الوجوب، لوجود قرينة صارفة نقلت الأمر من الوجوب إلى الاستحباب، هذه القرينة أن العبد من مال السيد، والسيد له حرفي تصرفه في ماله، فلم يوجب الله عليه في ماله إلا الزكاة - وهذا من القرائن الحالية - فصارت مكاتبة السيد لعبده مستحبة.

(فالجمهور على أن المكاتبة مستحبة. وإن قال بعض أهل العلم إن المكاتبة هنا واجبة وليست مندوبة، إذا عُلِمَ الخير في العبد، ورجح ذلك الطبري في تفسيره ونقله عن عطاء وغيره).

وفي تفسير ابن كثير: وقد ذهب كثير من العلماء إلى أن هذا الأمر (فكاتبوهم) أمر إرشاد واستحباب لا أمر تحتم وإيجاب.

ونقل عن الشعبي قوله: إن شاء كاتبه وإن شاء لم يكاتبه.

وذهب الشافعي في الجديد أن المكاتبة لا تجب ؛ لقوله ﷺ : «لا يحل مال امرئ مسلم إلا بطيب من نفسه». (مسند أحمد).

وكذلك قال مالك: الأمر عندنا أن ليس على سيد العبد أن يكاتبه إذا سأله ذلك، ولم أسمع أحدًا من الأئمة أكره أحدًا على أن يكاتب عبده، وقال: وإنما ذلك أمر من الله، وإذن منه للناس وليس بواجب.

وكذا قال الثوري وأبو حنيفة وغيرهم. (تفسير الطبري ٩ / ١٦٧، ١٦٨، وتفسير ابن كثير ٦ / ٥١، ٥٣).

٢- قال تعالى: «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا تَدَايَنْتُمْ بِدَيْنٍ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى فَاكْتُبُوهُ» [البقرة: ٢٨٢]، فأصل الأمر في كتابة الدين بالآية على الوجوب، لكن جاءت قرينة نزلت به إلى الاستحباب، هذه القرينة قوله تعالى: «فَإِنْ أَمِنَ بَعْضُكُمْ بَعْضًا فَلْيُؤَدِّ الَّذِي اؤْتُمِنَ أَمَانَتَهُ».

فرخص الله تعالى في الكتابة أو عدمها، فمن شاء أن يأتمن صاحبه فليأتمنه، وقال القرطبي في تفسيره: وقال الجمهور: الأمر بالكتب ندب إلى حفظ الأموال وإزالة الريب. (٣/٣٨٣).

٣- حديث أنس رضي الله عنه أن ابن عوف رضي الله عنه جاء إلى النبي ﷺ ، وبه صفرة، فسأله النبي ﷺ ، فأخبره أنه تزوج امرأة من الأنصار، قال: كم سقت إليها ؟ قال: وزن نواة من ذهب، قال رسول الله ﷺ : أولم ولو بشاة. (متفق عليه).

في قول النبي ﷺ لعبد الرحمن: أولم. أمر بالوليمة، والأصل في الأمر الوجوب، لكن ما القرينة التي جعلته على الاستحباب؟

يقول ابن عبد البر في التمهيد: وقد اختلف أهل العلم في وجوبها، فذهب فقهاء الأمصار إلى أنها سنة مسنونة (مستحبة)، وليست بواجبة ؛ لقوله: «أولم ولو بشاة»، ولو كانت واجبة لكانت مقدرة معلوم مبلغها، كسائر ما أوجب الله ورسوله من الطعام في الكفارات وغيرها، قالوا: فلما لم يكن مقدرًا خرج من حد الوجوب إلى حد الندب، وأشبه الطعام لحادث السرور، كطعام الختان والقدوم من السفر، وما صُنع شكرًا لله عز وجل.

وقال أهل الظاهر: الوليمة واجبة فرضًا لأن رسول الله ﷺ أمر بها وفعلها، وأوعد من تخلف عنها... (التمهيد ٢/١٨٩).

- وفي سبل السلام:.. وقال أحمد: الوليمة سنة،

وقال الجمهور مندوبة، وقال ابن بطال: لا أعلم أحدًا أوجبها، وكأنه لم يعرف الخلاف. (سبل السلام ١٥٤/٣).

٤- في حديث النبي ﷺ لعمر بن أبي سلمة: يقول: كنت غلامًا في حجر النبي ﷺ ، وكانت يدي تطيش في الصحفة، فقال لي رسول الله ﷺ : يا غلام، سمِّ الله، وكل بيمينك، وكل مما يليك. فما زالت تلك طعمتي بعد. (متفق عليه).

الأمر في الحديث صُرِف من الوجوب إلى الاستحباب، لقرائن:

منها أن هذا أدب، كل بيمينك، فلما كان أدبًا صار الأمر فيه أنه للاستحباب، وأهل العلم يقولون: الأمر هنا للاستحباب لأنه من الآداب، فيجعلون من الصوارف كون الشيء من الآداب.

ومنها أن عمر بن أبي سلمة كان غلامًا صغيرًا لم يكلف بعد، فيكون الأمر له من باب محاسن الأخلاق ويحمل على التأديب والتهذيب وتعويده محاسن الأخلاق.

(فالقرينة الصارفة هنا من الوجوب إلى الاستحباب من قرائن الأحوال المنفصلة التي رُوعي فيها حال المخاطَب).

- في مرقاة المفاتيح:..ذهب جمهور العلماء إلى أن الأوامر الثلاثة في هذا الحديث للندب، وذهب بعضهم إلى أن الأمر بالأكل باليمين للوجوب. (مرقاة المفاتيح ٤١٩/٢).

ورجحه الشيخ ابن عثيمين في شرحه لرياض الصالحين، فقال بوجوب الأكل باليمين لأن النبي ﷺ نهى أن يأكل الإنسان بشماله أو يشرب بشماله، وقال: إن الشيطان يفعل هذا، وكذلك هذا من هدي الكفار.

وأيضًا قال بوجوب التسمية قبل الأكل، فإنه لو لم يسمِّ شاركه الشيطان في أكله، ولو زاد الرحمن الرحيم، فلا بأس، فهذه هي التسمية الكاملة التي بدأ الله بها كتابه، ولو اكتفى على بسم الله فقط فلا حرج، الأمر في هذا واسع (شرح رياض الصالحين لابن عثيمين بتصرف).

- وبالنسبة للأكل مما يليه (مما هو أمامه) فهذا إن كان الطعام نوعًا واحدًا فقط، أما إن كان من ألوان شتى، فله أن يأكل من اللون الذي يشتهيه دون أن تطيش يده في الصحفة.

٥- عن أبي قتادة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: إذا دخل أحدكم المسجد فلا يجلس حتى يصلي ركعتين. (متفق عليه).

- ولفظ مالك : «... فليركع ركعتين قبل أن يجلس».

هذا أمر من النبي ﷺ بصلاة ركعتين عند دخول المسجد، وإعمالاً لقاعدة أن الأصل في الأمر الوجوب، فهل هاتان الركعتان واجبتان ؟ وإذا لم يكونا ؟ فما هي القرائن التي صرفت الأمر من الوجوب إلى الاستحباب ؟

أولاً: قال الظاهرية بوجوب ركعتي تحية المسجد إعمالاً لظاهر الأمر، ورجح الوجوب الصنعاني في «سبل السلام»، وكذلك رجح الوجوب الشوكاني في «نيل الأوطار».

وقال ابن عثيمين في شرحه على رياض الصالحين بعد أن ذكر حديث النبي ﷺ ودخل رجل والنبي ﷺ يخطب يوم الجمعة فسأله هل صليت ؟ قال: لا. قال: قم فصلِّ ركعتين وتجوز فيهما (أي أسرع فيهما) من أجل أن يستمع إلى الخطبة، وقد أخذ بعض العلماء من هذا أن تحية المسجد بالركعتين واجبة ؛ لأن الرسول ﷺ أمر هذا الرجل أن يصلي ركعتين ويشتغل بهما عن سماع الخطبة، وسماع الخطبة واجب، ولا يشتغل عن واجب إلا بما هو أوجب منه. (٢٠١٤/١).

ثانيًا: الجمهور صرفوا الأمر من الوجوب إلى الاستحباب، قال في فتح الباري: اتفق أئمة الفتوى على أن الأمر في ذلك للندب. (٥٣٧/١).

وقال ابن دقيق العيد: «وجمهور العلماء على عدم الوجوب لهما». (إحكام الأحكام ٤٦٧/٢).

وقال النووي: إنه إجماع المسلمين. (شرح مسلم ٢٣٣/٥)، ولكن نقل الإجماع فيه نظر، فقد رأينا من قال بالوجوب، ونقل الحافظ ابن حجر في الفتح عن ابن حزم خلاف الوجوب.

وقرائن الجمهور الصارفة عن الوجوب، منها: حديث ضمام بن ثعلبة لما سأل رسول الله ﷺ عما يجب عليه من الصلاة، فأجابه: الصلوات الخمس، فقال: هل عليَّ غيرها؟ قال: لا، إلا أن تطوع. (متفق عليه).

وقد ردَّ القائلون بالوجوب على حديث ضمام بن ثعلبة وعلى غيره من الأدلة الصارفة للأمر من الوجوب إلى الاستحباب، والله أعلم.

وللحديث بقية إن شاء الله تعالى، والحمد لله رب العالمين.

الفنجري ينضم لحزب البنا للتشكيك في السنة

إعداد: د/ محمود المراكبي



الحمد لله والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين، وعلى آله وصحبه الكرام الميامين، وبعد: فإن ما يهرف به جمال البنا وأحمد شوقي الفنجري من القرآنيين ومنكري السنة وأصحاب البدع ليس بجديد، كل ما يثيرونه من قضايا يريدون بها التلبيس على العوام، وصرف أذهان العلماء عن الدعوة إلى الله، والتفرغ لمتاهاتهم، ولأمثال هؤلاء يفرد الإعلام المرئي والمسموع المجال على اتساعه، حتى بلغت ١٨ مقالاً عن أن «الإسلام في خطر»، للفنجري فقط، وقد حصلت على أعداد مجلة روزا اليوسف التي تضم تحت سلسلة مقالات تتضمن قضايا مختلف في صحتها، كالنقاب وأحاديث ولاية المرأة، وغيرها مما لَبَّسَه الشيطان على هؤلاء وكبرت في عقولهم أنهم مفكرون فوق علماء الأمة، وليس هناك من خطر على الإسلام سواهم، والإسلام دين الله، والله متم نوره ولو كره المنافقون، وأبدأ بالمقالة الأولى للدكتور أحمد شوقي الفنجري، والتي تضم الكثير من المغالطات والأكاذيب المتعمدة، وسوء الفهم، ففي مقالته الأولى يقول: الرسول ﷺ قال: «لا تكتبوا عني غير القرآن، ومن كتب عني شيئا غير القرآن فليمحه». [حديث أبي سعيد الخدري أخرجه مسلم في صحيحه رقم ٥٣٣١، تقييد العلم للخطيب البغدادي ١، ٤، ٦، ٩، ١١ جامع بيان العلم وفضله ٣٣٥١، سنن النسائي الكبرى ٧٩٥٤، والحاكم في المستدرك ٤٠٠، وابن حبان في صحيحه ٦٤، والدارمي في سننه ٤٥٠].

فقلت: إن الرجل يستدل بالسنة، وهذه بداية جيدة، أما علم الرجل أن العلة وراء النهي عن كتابة الحديث قد انتفت، وأن القرآن قد استقر في الصدور، وليته علم ما قاله النبي £ بعد هذا الحديث؟ لقد نسخ الأمر يا فنجري يوم قال £ : «حدثوا عني ولا حرج» [الجامع لمعمر بن راشد ١١٠٤، وأحمد بن حنبل في مسنده ١٠٨٨٣، مسند أبو يعلى الموصلي ١١٩٦، مسند الشاميين للطبراني ٢١٤، المدخل إلى الصحيح للحاكم ٢٦، تقييد العلم للخطيب البغدادي ٨]، وقال: «اكتبوا لأبي شاه» [جامع بيان العلم وفضله لابن عبد البر الأندلسي ٢٨٢]، وقال لعبد الله بن عمرو بن العاص: «اكتب فأنا لا أنطق إلا حقا»، وقد كتب صحيفة كانت تعرف في زمن النبي £ بالصادقة، وأظهر الفنجري عدم علمه في تعليله لأسباب الوضع، ثم قال: وقد اعترف اليهودي الذي ادعى الإسلام كعب الأحبار أنه وضع عشرة آلاف حديث، بعضها ورد في الكتب الصحاح ولم يمكن كشفها، ونحن نتحدى الدكتور / أحمد شوقي الفنجري أن يذكر لنا مصدر هذه المعلومة الكاذبة المضللة، ولعلك يا فنجري إن إحصاء جملة مرويات كعب الأحبار في ١٤٠٠ مصدر من مصادر السنة التي ضمت أمهات كتب الحديث قد بلغ ٢٩ حديثا فقط. فلينظر القارئ الكريم في كلام الفنجري وحزبه، يزعم أن الموضوع من أحاديث كعب الأحبار عشرة آلاف، فياترى كم إجمالي الأحاديث التي رواها كعب الأحبار إذا كان الموضوع منها عشرة آلاف حديث، فإذا كان جملة مروياته لا تبلغ الثلاثين حديثا، فليعلل القارئ الكريم سبب كلام الفنجري أهو الجهل أم الحقد على الإسلام أم تلبيس إبليس، ونستكمل كشف أكاذيب الفنجري، الذي يقول «إن البخاري جمع ٦٠٠ ألف حديث، ولكنه استبعد معظمها للشك في صحتها، ولم يثبت عنده غير ٤ آلاف حديث»، وهذه العبارة نتيجة طبيعية لتزاوج الجهل مع الاجتراء على الله ورسوله، إن سنة النبي £ بلغت ١٥ ألف حديث فقط، فمن أين يفهم أن البخاري كان يحفظ ٦٠٠ ألف حديث، وصحة الأمر أنه كان يحفظ ٦٠٠ ألف إسناد، أي أنه كان عنده الحديث بعدة أسانيد، ولم يكتب في كتابه أحاديث لها أسانيد ليست على شرطه هو، ولما كان شرط البخاري من أوثق الشروط التي ألزم مصنفو السنة أنفسهم بها، حيث ألزم نفسه باللقاء في تحمل الراوي عن شيخه، فتأكد من كل إسناد بشرطه هو، وهو لم يلزم نفسه بكتابة كل ما يعرف من أحاديث صحيحة، وهذا يعرفه من له أقل دراية في علم الحديث، وليقرأ معي الفنجري اسم كتاب صحيح البخاري: «الجامع الصحيح المسند المختصر من أمور رسول الله وسننه وأيامه»، هذا ما أسما البخاري كتابه به وهو أبلغ رد على جهل الجاهلين وليخسأ الخاسئون، ويستمر الفنجري في قوله: «ولم يثبت عند البخاري غير ٤ آلاف حديث»، هو قول عار عن الصحة، فعدد أحاديث البخاري بدون مكررات بلغت ٢٣٨٢، أما قوله «ثم جاء بعده مسلم فجمع ٣٠٠ ألف حديث لم يصح عنده غير ١٢ ألفا»، وهذا خطأ أيضا والصواب أن صحيح مسلم تضمن فقط ٢٨٤٦ بدون مكررات، وليس ١٢ ألفا كما فنجر الفنجري، ولا يحتاط من عدم علمه وإنما يؤكده بقوله وجمع أبو داود ٥٠٠ ألف حديث لم يصح عنده غير ٤٨٠٠ حديث. والصواب أن جملة مرويات أبي داود في سننه بلغت٣٧٨٤ حديثا، فكل معلومات الفنجري خطأ يوضح جهله وخوضه بالباطل فيما لا يعلم، فهو يصب جام حمقه على حديث إرضاع الكبير، وهي قضية تناولتها الألسن والأقلام غير بعيد وتهافتت عليها القنوات الفضائية، وهو حديث لا يعرف ملابساته ولا مناسبته أمثال الفنجري، وهل يطبق على العموم، أم إنه حديث خاص بإذن خاص، إن رسول الله £ لا يمكن أن يقبل عقل سوى أنه أمر الناس أن يرضعوا من ثدي النساء، فالعربي لا يقبل أن يرى الأجنبي امرأته، فكيف بثديها، ولكنها الرغبة في التشنيع يسوقها المنافقون، وربما يتسع الوقت في حلقة قادمة نتناول فيها الحكمة من الحديث من كافة ملابساته والتي بكل تأكيد بعيدة كل البعد عن الفهوم القاصرة، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.



الاستئذان



الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على الرحمة المهداة نبينا محمد بن عبد الله وعلى آله وصحبه أجمعين، ومن تبعهم بإحسان، وسار على نهجهم إلى يوم الدين، وبعد:

فقد سبق الحديث في أدب الاستئذان وتوقفنا عند الرجوع عند عدم الإذن، وقبول اعتذار صاحب البيت،

ونكمل الحديث عن:

أ- رفع الإذن عند دخول البيوت غير المسكونة:

قال تعالى: «لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ مَسْكُونَةٍ فِيهَا مَتَاعٌ لَكُمْ» [النور: ٢٩].

قال الطبري: «بُيُوتًا غَيْرَ مَسْكُونَةٍ فِيهَا مَتَاعٌ لَكُمْ» قيل: هي البيوت التي على ظهر الطريق ليس فيها ساكن، والتي بنيت للمارة، وقيل: هي «الخرِب»، و«المتاع» أي: قضاء الحاجة في الخلاء.

قال ابن كثير: هذه الآية أخص من التي قبلها، وذلك أنها تقتضي جواز الدخول إلى البيوت التي ليس فيها أحد بغير إذن إذا كان له متاع فيها، كالبيت المعد للضيف إذا أذن له فيه أول مرة كفى، وكبيوت التجار كالخانات ومنازل الأسفار وبيوت مكة. اهـ.

ودخول بيت مكة من غير استئذان مبني على القول بأن بيوت مكة غير متملكة، وأن الناس فيها شركاء، يعني بناءً على أن مكة فُتحتْ عَنوة، وتُعُقِّب بأن الله - سبحانه - قيد هذه البيوت المذكورة في الآية بأنها غير مسكونة. راجع فتح القدير للشوكاني (٤ / ٢٠).

قال مجاهد: هي الفنادق التي في طريق السابلة، لا يسكنها أحد، بل هي موقوفة ليأوي إليها كل ابن سبيل، «متاع لكم» أي: فيها منفعة لكم أو حاجة من الحاجات كالاستظلال من الحر وإيواء الأمتعة والرّحال.

وقال الحسن البصري وإبراهيم النخعي: إنها الدكاكين التي في الأسواق. اهـ.

ولا ريب أن أصحاب المحلات إذا فتحوا محلاتهم، فإن ذلك يكون رغبة منه في دخول الزبائن، وأنه راغب في البيع، وهذا سبب كافٍ لإباحة دخول المتاجر بدون إذن، وقد تعارف الناس على ذلك.

قال الشعبي: لأنهم جاءوا ببيوعهم، فجعلوها فيها، وقالوا للناس: «هلم».

وأدخل جابر بن زيد في ذلك كل مكان فيه انتفاع، وله فيه حاجة.

وقال الإمام ابن العربي: وأما من فسر المتاع بأنه جميع الانتفاع، فقد طبّق المفْصِّل، وجاء بالفيصل، وبيَّن أن دخول الداخل فيها إنما هو لما له من الانتفاع، فالطالب يدخل الخانكات للعلم، والساكن يدخل في الخان للمنزل فيه، أو لطلب من نزل لحاجته إليه، والزبون يدخل الدكان للابتياع، والحاقن يدخل الخلاء للحاجة وكل يُؤْتَى على وجهه من بابه. اهـ. «أحكام القرآن» (٣ / ١٣٦٤).

ومما سبق نرى أن الآية شملت:

١- الأماكن العامة التي فيها حاجات الناس، كالمطاعم والفنادق ونحو ذلك.

٢- البيوت المبنية على الطرقات يمر بها المارة والمسافرون وأبناء السبيل.

٣- أماكن قضاء الحاجة.

٤- العمائر والأربطة التي جعلت وقفًا للناس.

٥- المدارس ودور التعليم.

فكل بيت لا مالك له ولا ساكن به لنا فيه متاع لا إثم ولا حرج في دخوله بغير إذن. «فيها متاع لكم».

المتاع: المنفعة، أي فيها منفعة لكم، قال ابن الجوزي في «زاد المسير» فيخرَّج في معنى المتاع ثلاثة أقوال:

أحدها: الأمتعة التي تباع وتشترى.

الثاني: إلقاء الأذى من الغائط والبول.
الثالث: الانتفاع بالبيوت لاتقاء الحر والبرد.

ب- الاستئذان داخل البيوت:

١- بيت المرء نفسه:
بيت الإنسان هو البيت الذي لا أحد معه فيه، أو البيت الذي فيه زوجته وأولاده، وما عدا هذا، فهو غير بيته.

استئذان الرجل على زوجته:

إذا لم يكن مع الرجل في بيته إلا امرأته، فإنه يستحب الاستئذان عليها، ولا يجب، لأنه لا حشمة بين الرجل وامرأته، ويجوز بينهما من الأحوال والملابسات ما لا يجوز لأحد غيرهما، والاستحباب في الإذن، فقد تكون على حالٍ لا تحب أن يراها عليه أحد.

روى البخاري من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال: كنا مع النبي £ في غزوةٍ، فلما قفلنا.. ذهبنا لندخل، فقال: «امهلوا حتى تدخلوا ليلاً أي عشاءً لكي تمتشط الشعثة وتستحد المغيبة».

وعن ابن جُريج قال: قلت لعطاء: أيستأذن الرجل على امرأته ؟ قال: لا.

قال ابن كثير: وهذا محمول على عدم الوجوب، وإلا فالأولى أن يعلمها بدخوله، ولا يفاجئها به، لاحتمال أن تكون على هيئة لا تحب أن يراها عليها. اهـ.

وعليه يستحب للرجل أن يشعر زوجته بدخوله، قالت زينب امرأة عبد الله بن مسعود رضي الله عنهما: كان عبد الله إذا جاء من حاجة، فانتهى إلى الباب، تنحنح وبزق، كراهة أن يهجم منا على أمر يكرهه.

وقال أبو عبيدة: كان عبد الله - يعني ابن مسعود - إذا دخل الدار استأنس، أي تكلم، ورفع صوته.

وسُئل الإمام أحمد عن الرجل يدخل إلى منزله، ينبغي له أن يستأذن ؟ قال: يحرك نعله إذا دخل، وقال في الاستئذان على الزوجة كذلك، ما أكره ذلك، إن استأذن ما يضره ؟ اهـ. ذلك لأنه بيته ومنزله والاستحباب، لئلا يراها على حالة لا يعجبها، ولا تعجبه.

وعلى الزوج أن يسلم على زوجته عند دخوله ؛ روى الترمذي عن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله £ : «يا بني، إذا دخلت على أهلك فسلم، يكن سلامك بركةً عليك، وعلى أهل بيتك». (قال الترمذي: حديث حسن).

وروى أبو داود وابن حبان من حديث أبي أمامة رضي الله عنه قال رسول الله £ : «ثلاثة كلهم ضامن على اللهِ، إن عاش رُزِقَ وكُفِيَ، وإن مات أدخلهُ الله الجنة: من دخل بيته فسلم، فهو ضامن على الله...» رواه كذلك الحاكم وصححه، ومعنى الحديث أنه في رعاية الله، وضمَّنه - بعلى - تضمينًا لمعنى الوجوب، وبإن يكلاه الله من الضرر في الدنيا والدين. راجع: فيض القدير (٣ / ٣١٩).

وروى أبو داود من حديث أبي مالك الأشعري رضي الله عنه قال رسول الله £ : «إذا وَلَجَ الرجل بيته، فليقل: اللهم إني أسألُكَ خيرَ المولج، وخير المخرج، بسم الله ولجنا، وبسم الله خرجنا، وعلى الله ربنا توكلنا، ثم يسلم على أهله».

وعن قتادة قال: إذا دخلت بيتك، فسلم على أهلك، فهم أحق من سلَّمت عليهم.

وكان من هدي النبي £ كما روى مسلم من حديث المقداد رضي الله عنه قال: فيجيء - أي النبي £ - من الليل، فيسلِّم تسليمًا لا يُوقظ نائمًا، ويُسمع اليقظان.

ويكره للرجل أن يطرق أهله ليلاً، لئلا يتخونهم، أو يطلب عثراتهم، وذلك إذا طال السفر، ففي البخاري وغيره من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال رسول الله £ : «إذا أطال أحدكم الغيبة، فلا يطرقنَّ أهله ليلاً». وفي رواية أنس: «أن النبي £ كان لا يطرق أهله ليلاً، وكان يأتيهم غدوة أو عشية».

قال الحافظ ابن حجر: «إذا أطال أحدكم الغيبة فلا يطرق أهله ليلاً» التقييد فيه بطول الغيبة يشير إلى أن علة النهي إنما توجه حينئذ، فالحكم يدور مع علته وجودًا وعدمًا، فلما كان الذي يخرج لحاجته مثلاً نهارًا، ويرجع ليلاً، لا يتأتى له ما يحذر من الذي يطيل الغيبة، كان طول الغيبة مظنة الأمن من الهجوم، فيقع للذي يهجم بعد طول الغيبة غالبًا ما يكره، إما أن يجد أهله على غير أُهبة من التنظيف، والتزين المطلوب من المرأة، فيكون ذلك سبب النفرة بينهما، وقد أشار إلى ذلك بقوله £ لجابر حين قدم معه من سفر: «إذا دخلت ليلاً فلا تدخل على أهلك حتى تستحد المغيبة وتمتشط الشَّعثةُ». اهـ.

فعلى هذا من علم أهله بوصوله، بأي وسيلة، وأنه يقدم في وقت كذا، لا يتناوله هذا النهي، فقد قدم النبي £ من غزوة فقال: «لا تَطْرُقوا النساءَ» وأرسل من يؤذن الناس أنهم قادمون.

وللحديث بقية، وصلى الله وسلم على نبينا محمد، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.



١ - مكانة يحيى ومنزلته وصفاته:

الحمد لله الذي لا يخفى عليه شيء في الأرض ولا في السماء، هو الذي يصوركم في الأرحام كيف يشاء لا إله إلا هو العزيز الحكيم، والصلاة والسلام على خاتم النبيين والشافع المشفع يوم الدين وعلى آله وأصحابه أجمعين، وبعد:

أخي القارئ الكريم: لعلك على ذكْرٍ من حديثنا في لقاءات سابقة عن نبي الله زكريا عليه السلام، وهناك أشرنا إلى البشارة بيحيى عليه السلام استجابة لدعاء زكريا ومناداته ربه نداءً خفيًا وكان على يقين أنه لن يكون بدعاء ربه شقيًا، فاستجاب الله لزكريا وأصلح له زوجه ووهبه يحيى ولم يجعل له من قبل سميًا، وهو نبي من أنبياء بني إسرائيل عاصر أباه وابن خالته عيسى عليهم جميعًا السلام، سماه الله يحيى ليحيى ذكره في نفوس المؤمنين، وزاده بركة وتقى، وجعله سيداً على أهل زمانه، وحصر همته في طاعته، وقصر هواه في عبادته، ولم يجعل له في النساء رغبة مع قدرته على إتيانهن في الحلال، وقد زوده الله بالعلم والتقوى منذ نعومة أظفاره، ووصفه بأوصاف جمعت شُعب الإيمان، نقف معها إن شاء الله من خلال وصف آيات القرآن.

قال الله تعالى: «يَا يَحْيَى خُذِ الْكِتَابَ بِقُوَّةٍ وَآتَيْنَاهُ الْحُكْمَ صَبِيًّا (١٢) وَحَنَانًا مِنْ لَدُنَّا وَزَكَاةً وَكَانَ تَقِيًّا (١٣) وَبَرًّا بِوَالِدَيْهِ وَلَمْ يَكُنْ جَبَّارًا عَصِيًّا (١٤) وَسَلَامٌ عَلَيْهِ يَوْمَ وُلِدَ وَيَوْمَ يَمُوتُ وَيَوْمَ يُبْعَثُ حَيًّا» [مريم: ١٢ - ١٥].

وقال تعالى: «أَنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَى مُصَدِّقًا بِكَلِمَةٍ مِنَ اللَّهِ وَسَيِّدًا وَحَصُورًا وَنَبِيًّا مِنَ الصَّالِحِينَ» [آل عمران: ٣٩].

ولنا مع الآيات السابقة الوقفات التالية:

الأولى: في قوله تعالى: «يَا يَحْيَى خُذِ الْكِتَابَ بِقُوَّةٍ وَآتَيْنَاهُ الْحُكْمَ صَبِيًّا».

قال ابن كثير - رحمه الله -: يخبر تعالى عن وجود الولد، وفق البشارة الإلهية لأبيه زكريا - عليه السلام - وأن الله علم يحيى الكتاب والحكمة وهو صغير في حال صباه.

قال عبد الله بن المبارك - رحمه الله -: قال معمر: قال الصبيان ليحيى بن زكريا: اذهب بنا نلعب، فقال: ما للعب خُلقنا. قال: وذلك قوله: «وَآتَيْنَاهُ الْحُكْمَ صَبِيًّا». والكتاب المقصود هو التوراة.

الثانية: وأما قوله: «وَحَنَانًا مِنْ لَدُنَّا» أي: رحمة من عندنا رحمنا بها زكريا. ذكره ابن عباس ومجاهد وقتادة والضحاك وعكرمة. وعن عكرمة أيضًا قال: «وحنانًا من لدنا» أي: محبة عليهم، وهي صفة لتحنن يحيى على الناس ولا سيما أبويه، بمحبتهما والشفقة عليهما وبره بهما.

الثالثة: في قوله تعالى: «وَزَكَاةً وَكَانَ تَقِيًّا (١٣)

وَبَرًّا بِوَالِدَيْهِ وَلَمْ يَكُنْ جَبَّارًا عَصِيًّا»، وأما «الزكاة» فهي طهارة الخُلُق، وسلامته من النقائص والرذائل.

و«التقوى» هي طاعة الله ؛ بامتثال أوامره وترك زواجره.

«وَبَرًّا بِوَالِدَيْهِ وَلَمْ يَكُنْ جَبَّارًا عَصِيًّا» الإحسان إلى الوالدين وطاعتهما وترك عقوقهما قولاً وفعلاً، ولم يكن متجبرًا على خلق الله ولا عصيًا لأوامره (سبحانه) ولا لوالديه.

الرابعة: في قوله تعالى: «وَسَلَامٌ عَلَيْهِ يَوْمَ وُلِدَ وَيَوْمَ يَمُوتُ وَيَوْمَ يُبْعَثُ حَيًّا». قال ابن كثير: هذه الأوقات الثلاثة أشد ما تكون على الإنسان ؛ فإنه ينتقل في كل منها من عالم إلى عالم آخر فيفقد الأول بعد ما كان ألفه وعرفه، ويصير إلى الآخر، ولا يدري ما بين يديه؛ ولهذا يستهل صارخًا إذا خرج من بين الأحشاء وفارقها وانتقل إلى هذه الدار ؛ ليكابد همومها وغمها.

وكذلك إذا فارق هذه الدار، وانتقل إلى عالم البرزخ وصار بعد الدور والقصور إلى عرصة الأموات سكان القبور وانتظر هناك النفخة في الصور ليوم البعث والنشور. قال: ولما كانت هذه المواطن الثلاثة أشق ما تكون على ابن آدم سلَّم الله على يحيى في كل مَوْطِن منها». اهـ مختصرًا.

ثم نقل الإمام ابن كثير – رحمه الله – الأثر الذي أخرجه الطبري برقم (٢٣٥٦٩) عن سعيد بن أبي عروبة، عن قتادة، أن الحسن قال: إن يحيى وعيسى التقيا، فقال له عيسى: استغفر لي ؛ أنت خير مني. فقال له يحيى: استغفر لي ؛ أنت خير مني. فقال له عيسى: أنت خير مني سلَّمت على نفسي وسلم الله عليك. فعُرف واللَّه فضلُهما. اهـ.

وهذا الأثر لو صحَّ لعله من تواضع عيسى – عليه السلام – لأن عيسى من أولي العزم وما أدراك من هم؟ أما عن فضل عيسى ومنزلته فليس المجال هنا لبيانها وسيأتي(١).

أو لعل هذا الأثر فيه إشارة إلى مكانة يحيى بين الأنبياء من معاصريه والله تعالى أعلم، أو لبيان شرف تسليم الله عليه في هذه المواضع الثلاثة.

الخامسة: مع قوله تعالى: «وَسَيِّدًا وَحَصُورًا وَنَبِيًّا مِنَ الصَّالِحِينَ». جاءت البشارة لزكريا على لسان الملائكة أن الله يبشره بيحيى مصدقًا بكلمة من الله وهو عيسى عليه السلام وسمي كذلك لأن الله خلقه بكلمة «كن» بغير الطريقة التي اعتادها الناس وسيأتي تفصيل ذلك عند الحديث عن قصة عيسى عليه السلام، أما صفات يحيى عليه السلام «سيدًا»، وخلاصة أقوال أهل العلم في ذلك أنه الذي يسود قومه حلمًا وكرمًا وتقوى، أما قوله تعالى: «حصورًا»، والحصور أي: المحصور عن إتيان النساء إما لعدم القدرة على ذلك، أو لأنه يكفّ نفسه، وهنا لا بد من تفصيل، وإليكم ذلك:

١- لخصَّ الشيخ عبد الرحمن السعدي رحمه الله القول فقال: «وحصورًا» أي: ممنوعًا عن إتيان النساء، فليس في قلبه لهن شهوة، اشتغالاً بعبادة ربه وطاعته». اهـ.

٢- أما الإمام القرطبي – رحمه الله – فقد نقل أقوال المفسرين في معنى «حصورًا»، ثم عقَّب قائلاً: «وقال ابن مسعود أيضًا وابن عباس وابن جبير وقتادة وعطاء وأبو الشعثاء والحسن والسدي وابن زيد: هو الذي يكفُّ عن النساء ولا يقربُهن مع القدرة».

ثم قال رحمه الله: وهذا أصحُّ الأقوال لوجهين:

أحدهما: أنه مدحٌ وثناءٌ على يحيى، والثناء إنما يكون على الفعل المكتسب دون الجبلَّة في الغالب.

والوجه الثاني أن فعولاً في اللغة من صيغ الفاعلين؛ فالمعنى أنه يحصر نفسه عن الشهوات». اهـ.

يقصد – رحمه الله – أن فعولاً تأتي بمعنى فاعل، يعني حصورًا بمعنى حاصر ؛ أي هو الذي يكفُّ نفسه مع قدرته على الفعل إن أراد، وهذا أنسب بمقام المدح والثناء، ويؤيد ما ذهب إليه ما نقله الإمام ابن كثير – رحمه الله – في تفسيره عن القاضي عياض في كتابه الشفاء قال: «اعلم أن ثناء الله تعالى على يحيى أنه كان «حصورًا» ليس كما قال بعضهم إنه كان هيوبًا(٢) أو لا ذكر له، بل قد أنكر هذا حذاق المفسرين، ونقاد العلماء، وقالوا: هذه نقيصة وعيب ولا يليق بالأنبياء عليهم السلام، وإنما الفضل في كونها موجودة ثم يمنعها بمجاهدة». اهـ. مختصرًا.

ثم واصل القاضي عياض رحمه الله فقال: «ثم هي في حق من قدر عليها وقام بالواجب فيها ولم تشغله عن ربه: درجة عليا وهي درجة نبينا ﷺ الذي لم يشغله كثرتهم(٣) عن عبادة ربه بل زاده ذلك عبادة بتحصينهن وإكسابه لهن وهدايته إياهن». اهـ.

ثم عقب ابن كثير بقوله: «والمقصود أنه مدح ليحيى وأنه حصور عن الفواحش والقاذورات، ولا يمنع ذلك من تزويجه بالنساء الحلال وغشيانهن وإيلادهن بل قد يُفهم وجود النسل له من دعاء زكريا المتقدم حيث قال: «هَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً» كأنه قال ولدًا له ذرية ونسل وعقب، والله سبحانه وتعالى أعلم». اهـ.

وقوله تعالى: «وَنَبِيًّا مِنَ الصَّالِحِينَ» قال الإمام ابن كثير – رحمه الله –: «هذه بشارة ثانية بنبوة يحيى بعد البشارة بولادته وهي أعلى من الأولى كقوله لأم موسى: «إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ» [القصص: ٧].

وإلى هنا نقف على أمل بلقاء متجدد إن شاء الله تعالى، فإلى ذلك استودعكم الله الذي لا تضيع ودائعه.

الهوامش

١- سيأتي إن شاء الله الحديث عن عيسى – عليه السلام – في موضعه بعد ذلك.

٢- هيوبًا: أي يهاب النساء.

٣- هذا قياسه على غيره من أمته، أما لو قسناه على من سبقه من الأنبياء في كثرة النساء فالأمر مختلف.

فهناك من الأنبياء من هم أكثر منه أزواجًا، صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين.





«السرقة»





الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن والاه، وبعد:

فقد تحدثنا في العددين الماضييْن عن سلوكيات مرفوضة في الأطفال، وذكرنا السلوك الأول وهو الكذب، ثم السلوك الثاني وهو العناد، وفي هذا العدد نتكلم عن سلوك ثالث مرفوض يسلكه الأطفال ويمارسه بعضهم، ألا وهو السرقة:

والسرقة هي استلاب حق الغير وأخذه بغير إذنه بقصد تملكه والانتفاع به والتصرف فيه كما لو كان ملكًا له.

١- شناعة السرقة

وقد حرم الإسلام العظيم السرقة ؛ سرقة الأموال والمتاع والممتلكات، بل وحقوق التأليف والاختراعات، والكتب والمصنفات، وذلك حفاظًا على حُرمة المسلم وحرمة حقوقه، ولكيلا تنتشر الفوضى والشحناء والبغضاء التي إذا أتت على مجتمع فإنها تعصف به وتهلكه، وتقضي على عناصر الأمن والاستقرار فيه، وقى الله مجتمعات المسلمين من كل شر وبلاء وفتنة، قال الله تعالى: «وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا جَزَاءً بِمَا كَسَبَا نَكَالاً مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ» [المائدة]، وسبب هذا الجزاء والتنكيل أن السرقة اعتداء على حقوق الغير التي حرم الإسلام التعدي عليها.

فقال ﷺ: «كل المسلم على المسلم حرام، دمه وماله وعرضه». رواه مسلم.

وقال ﷺ: «من حلف على يمين مصبورة كاذبًا متعمدًا ليقتطع بها مال أخيه المسلم فليتبوأ مقعده من النار». رواه أحمد والحاكم وصححه الألباني.

ومعنى المصبورة أي المحبوسة وهي التي أُلزم بها صاحبها وحُبس عليها لإنفاذ ما أصر عليه.

وهذه الأحكام جميعًا تجري على البالغ المكلف المسلم العاقل غير المضطر وغير المكره.

٢- السرقة لدى الصغار:

وهنا يأتي السؤال: كيف يكون الحكم والحال إذا فعل السرقة صغار الأطفال ؟ وإن كثيرًا من المربين يشتكون منزعجين من أن أحد أبنائه أو بناته قام بسرقة شيء ما من البيت، نقودًا كان أو متاعًا أو نحو ذلك، وقد يسرق من الجار إذا حانت له فرصة، وقد يسرق من البقال الذي يذهب للشراء منه، وقد يسرق من إخوته أو زملائه في المدرسة، أو من معلمه في الدرس، وربما سرق أجرة المدرس الذي يعطيه الدرس فلا يوصلها إليه.. إلى غير ذلك من حالات السرقة التي يقوم بها بعض الأطفال والصبيان.

ثم يخشى الآباء والأمهات وأولياء الأمور أن يتعود الطفل ذلك فيصير بعد ذلك لصًا، ويزداد الأمر قبحًا وإزعاجًا إذا رأى الأبوان أنهما يجتهدان في تربية ولدهما وتحفيظه كتاب الله وتعليمه السُّنة ؛ فما هو سر ذلك الأمر؟ وما اللغز المحير فيه، وكيف يتغلب الأبوان والمربون على هذه الظاهرة المزعجة ويقضون عليها ليعود لهم الاستقرار النفسي نحو أولادهم ؟

هذا ما ستنبئ به إن شاء الله السطور القادمة.

٣- لماذا يسرق الطفل ؟

الطفل إذا سرق فإنه يسرق لأسباب عديدة، سواء قابله بعض هذه الأسباب أو كلها.

أ- السبب الأول: يسرق الطفل لأنه يحب التملك، فإذا وجد غيره يمتلك شيئًا ليس عنده، فإن نفسه تطمح إلى أن يكون عنده مثله، فإن لم يجد سعى لأن يمتلك هذا الشيء بعينه ويستأثر به عن صاحبه فيسرقه.

ب- السبب الثاني: الطفل يسرق لأنه طفل لا يفرق بين الحلال والحرام ولا يعرف بديلاً للسرقة لكي يتملك، فهو لم يعرف الاستعارة كمعنى وليس لفظًا ولا يتضح لديه مفهوم الملكية الخاصة وحرمة انتقالها للآخرين عن طريق السرقة.

وهنا يأتي دور الأبوين والمربين في تعليم الطفل المصطلحات الإيمانية مع شرح مبسط لها على قدر ما يفهم الطفل حسب سنّه، تلك المصطلحات الإيمانية مثل: «الله كبير وليس كمثله شيء»، و«الرسول ﷺ بشر أرسله الله لنا ليعلمنا الحلال والحرام، والسرقة حرام، الجنة والنار، المسلمون والكفار، الحسن والقبيح، الظلم والعدل، حقي وحق غيري، المسلمون سيدخلون الجنة، والكفار في النار، الله يحب الذي يفعل الشيء الجميل ويدخله الجنة، ويبغض الذي يفعل الأشياء القبيحة ويدخله النار، الجنة فيها طعام وشراب، وكل ما



يشتهيه الطفل، الله خالقنا وأخرجنا من بطون أمهاتنا، وهو رازقنا، وهو يميتنا بعدما نكبر وقد يموت الإنسان صغيرًا، القبر مسكن الميت، والدود يأكله، يوم القيامة سيقوم كل الناس من القبور، ويسألهم الله ويحاسبهم على أعمالهم، طاعة الأبوين، احترام الكبير، الشتم والسب حرام، الذي يحب أخاه ويحب له الخير يحبه الله، والذي يكره أخاه يكرهه الله، الأذان للصلاة، الصلاة يحب الله الذي يحافظ عليها، شهر رمضان شهر صيام، الصدقة والزكاة من العمل الصالح، الحج زيارة للأماكن المقدسة، الأمانة، الاستئذان، غض البصر.

كل هذه وغيرها إيمانيات وأعمال إيمان لا بد للأبوين من تلقينها للطفل وهو صغير بحيث يكون عنده فكرة ولو مختصرة عنها جميعًا، وهذا الذي كان يفعله النبي ﷺ مع الصغار فيعلمهم شعب الإيمان وأعماله على الإجمال والاختصار قبل أن يحفظوا القرآن.

ولذلك قال جندب بن عبد الله البجلي: كنا مع النبي ﷺ ونحن فتيان حزاورة (أشداء)، فتعلمنا الإيمان قبل أن نتعلم القرآن، ثم تعلمنا القرآن فازددنا به إيمانًا. أخرجه ابن ماجه وغيره، وصححه الألباني، وزاد عند البيهقي: «وإنكم اليوم تعلّمون القرآن قبل الإيمان». [شعب الإيمان].

وقد ظهر جليًا في هذا الحديث أهمية تعلم شعب الإيمان وأفعاله قبل حفظ القرآن، قال ابن عمر رضي الله

عنهما: «لقد عشنا بُرهة من دهر، وأحدنا يؤتَى الإيمان قبل القرآن، وتنزل السورة على محمد £ ؛ فيتعلم حلالها وحرامها، وآمرها وزاجرها، وما ينبغي أن يوقف عنده منها كما تتعلمون أنتم القرآن اليوم، ثم لقد رأيت اليوم رجالاً يؤتَى أحدهم القرآن قبل الإيمان، فيقرأ ما بين فاتحته إلى خاتمته ولا يدري ما آمِرُه ولا زاجِرُه، ولا ما ينبغي أن يوقف عنده منه، وينثره نثر الدَّقَل.

والبُرهة هي الزمان الطويل، النثر: التساقط والتفرق، والدَّقَل: الرديء اليابس من التمر، والمراد أن القارئ يرمي بكلمات القرآن من غير رؤية ورَوِيَّة وتأمل كما يتساقط الدقل من العذق إذا هُزَّ.

ولذلك فإن رسولنا الكريم £ كان يربي النشء على الإيمان ومعرفة الحلال والحرام والممنوع والجائز، وكما يقول أبو هريرة رضي الله عنه: أخذ الحسن بن علي رضي الله عنهما تمرة من تمر الصدقة فجعلها في فيه (فمه)، فقال له رسول الله £ : كخْ ؛ ألقِها، أما شعرت أنا لا نأكل الصدقة؟» البخاري ومسلم وغيرهما.

فكم كان عُمْر الحسن رضي الله عنه والنبي £ يقول له: «كخِ كخ»، ويبين له أن الصدقة محرمة على آل محمد £ ، وقول النبي £ : «أما شعرت أنَّا لا نأكل الصدقة». يعني: كيف خفي عليك ذلك.

لذا يجب على المربي أن يتعاهد الطفل في صغره بتعريفه الحلال والحرام.

ج- السبب الثالث: ومما يدفع الصبي الصغير إلى السرقة: الحرمان من الأشياء التي تتوفر عند الآخرين، والحرمان للطفل ألم وعذاب ومعاناة لا يصبر عليها الطفل، وإن صبر ينفد صبره عاجلاً، فينبغي للمربين أن يجتهدوا في تلبية حاجات الطفل ورغباته بقدر المستطاع، أو على الأقل البديل عنها، كما ينبغي ألا يُستهان بميزانية لِلُعب الطفل ومشبعات غرائزه، وهي لن تساوي ربع ميزانية «السجائر» عند الأغلبية الساحقة من المستهترين من المسلمين، ولا تساوي ثلث ما تنفقه بعض الأمهات على ألوان وأصباغ وغير ذلك مما يضيع الأموال التي كره الله تعالى إضاعتها، خاصة مع الإسراف فيها.

وقد راعى النبي £ حاجة الصغار في ذلك، فكان يسمح لأم المؤمنين عائشة رضي الله عنها بأن تصطحب معها لعبها إلى بيت الزوجية عنده £ وتلعب بها ومعها صديقاتها الصغيرات، ولم تكن رضي الله عنها تجاوزت عند ذلك تسع سنوات من العمر.



تقول رضي الله عنها: «كنت ألعب بالبنات (لُعَب) عند النبي £ ، وكان لي صواحب يلعبن معي، وكان رسول الله £ إذا دخل يتقمعن منه (يتحجبن) فيسربهن إليَّ فيلعبن معي». متفق عليه.

وفي رؤيتها للعب كان يمكنها النبي £ من ذلك بعض الأحيان حتى تصرف وتشبع، وتعلق هي على ذلك قائلة: «فاقدروا قدر الجارية الحديثة السن». متفق عليه.

فالحرمان يؤدي بالطفل إلى سلوك السبيل المعاكس وإن كان مخالفًا للحق، ومن هذا لجوؤه إلى السرقة ليدبر بها أمره، ويشفي بها صدره.

ولا نقصد هنا بعدم حرمان الطفل أن يلبي له كل ما يريد، وينفذ له كل ما يأمر به، وإنما التسديد والمقاربة والتوسط والاعتدال هو خير سبيل (عوان بين ذلك).

د- السبب الرابع: الطفل يسرق للانتقام من الوالدين أو للتخلص من معاناته، والإعلان عن ظلمه، وهذا يحدث مع الأطفال الذين يتعرضون كما سبق للحرمان أو يتعرضون للقسوة في المعاملة من الوالدين والمربين، لكن الرفق أقرب السبل لإقناع الطفل، خاصة وأنه يقنع بالقليل، وينسى الكثير، وقد قال النبي £ : «عليك بالرفق، فإنه لا يكون في شيء إلا زانه، ولا يُنزع من شيء إلا شانه». (صحيح: الأدب المفرد).

فإذا قسا المربي على الطفل بالقول أو الضرب، فإن ذلك يكون لزجره ومنعه، عندها يلجأ الطفل إلى السرقة لو كانت له فرصة

الانتقام والأخذ ليشبع رغبته، ويقضي نهمته، غير مدرك لبر الوالدين أو نهيهما أو غضبهما.

هـ- السبب الخامس: والطفل يسرق لأنه طفل، وهو في مرحلة طفولة غير مسئولة،لأجلها رفع الله عنه التكليف (وعن الصبي حتى يحتلم)، فهو لا يعي من القرآن والسنة والأمر والنهي مثلما يعي الكبار، ولا يتأثر بالجنة والنار كالكبار، ولا يتذكر وتنفعه الذكرى كالكبار، ومن ثَمَّ يبقى أسير رغباته وغرائزه ونفسه المحدودة، فلا غرابة إن سرق.

علاج ظاهرة السرقة عند الأطفال:

علاج مثل هذه الظاهرة لا يعتمد أبدًا على العاطفة، أو وجهة النظر والرأي، ولا مشورات الفضوليين الذين لا دراية لهم بهذا الأمر، إنما العلاج ينبغي أن ينبثق من نصوص شرعية، وتجارب لأهل الشريعة المحمدية، وأول ما يمكن الإشارة إليه من علاج لهذه الظاهرة الآتي:

١- التزام الهدوء في معاملة الطفل، خاصة عند الصدمة الأولى، حينما يفاجأ الأب أنَّ جارًا له أو صديقًا أو قريبًا يخبره أن ابنه سرق،أو بنته التي لم يقصر في تربيتها وشراء ما يلزمها هي أو أخوها، وتتراكم على الأب مجموعة من المشاعر والانفعالات مثل إحراجه من جهة، وخيبة أمله في ابنه الذي لم يتركه محتاجًا إلى شيء، ثم هول المفاجأة، فربما أدى ذلك إلى سرعة التجاوب مع الحدث بانفعال وغضب، وعند هذه نقول: يجب التزام الصبر والتأني والهدوء وعدم العجلة، وتجنب الانتقام والقسوة لشفاء الغل والغليل.

ويبادر الأب بسؤال ابنه - خاصة إذا كانت أول مرة - برفق، ومعرفة دوافعه، وهل كان ذلك من تلقاء نفسه أم دله عليها غيره.

وقد يحتاج الأمر إلى لفت النظر بشد الأذن بنوع من الرفق أيضًا، وقد حدث ذلك من رسولنا الكريم ﷺ مع بعض الأطفال.

فعن النعمان بن بشير أن رسول الله ﷺ بعث معه بقطفين واحد له والآخر لأمه عمرة فلقي رسول الله ﷺ عمرة فقال: «أرسلت لك مع النعمان بقطف من عنب»؟ فقالت: لا، فأخذ النبي ﷺ بِلدَّته فقال: يا غُدَر. أخرجه الطَبراني في مسند الشاميين.

٢- وعظ الطفل وتذكيره بالإيمانيات التي أشرنا إليها من قبل، والثناء عليه بأنه ليس أهلاً لهذه الخصلة السيئة، وإبراز الجوانب الحسنة فيه والثناء عليه منها وبها، فإن ذلك يرفع معنوياته ويجعله يقلع عن السرقة ولا يكررها.



٣- تخويف الطفل عند الإصرار بأن حد السارق في الشرع قطع يده، فهل يمشي المرء بين الناس مقطوع اليد ليفضح أمامهم ؟

٤- الأطفال يحبون التقليد وتحركهم الغيرة، وباستنفار كوامن الطفل الخيرية عن طريق مدح زميل له تعرض لمثل هذا الموقف وكان أمينًا، وأبوه مسرور منه، ويحبه لأمانته.

٥- مراقبة الطفل وتفقد ممتلكاته، وتحري السؤال عن الأشياء الغريبة التي يأتي بها من خارج البيت، فإن السكوت عن ذلك يعطي الطفل أمانًا ليرتكب مثل هذه الأفعال.

٦- ممنوع إجراء اختبار للطفل، بمعنى أن بعض الناس يترك الأموال أمام الطفل لينتظر هل سيأخذ الطفل منها شيئًا أم لا، وقد قالوا: المال السايب يعلم السرقة، فلا داعي لجر الطفل وإغرائه لمثل هذا الفعل، والوقاية خير من العلاج.

٧- تعليم الطفل الاستئذان في أخذ أي شيء سواء من أهله، أو من خارج البيت، وهذا السلوك وهو الاستئذان إذا أتقنه الطفل عرف وغُرس فيه عدم الأخذ بدون استئذان، فكيف بالسرقة ؟

٨- تجنيب الطفل عن مصاحبة الرفقة السيئة التي يأتي من ورائها كل شر، وقد نهى الله ورسوله عن التساهل في اتخاذ الصاحب السوء، وكل إنسان على دين صاحبه.فلينظر كل صاحب من يصاحب. وإلى لقاء آخر إن شاء الله.



نواصل في هذا التحذير تقديم البحوث العلمية الحديثية للقارئ الكريم لبيان حقيقة هذه القصة التي اشتهرت على ألسنة الناس، ومما زادها شهرة أن العقاد أوردها في كتابه «عمرو بن العاص»، وإلى القارئ الكريم تخريج وتحقيق هذه القصة الواهية.

أولاً المتن

قال العقاد في كتابه «عمرو بن العاص» (ص١٥، ١٦):

«إن عمرو بن العاص على قدر ذلك الفخر بأبيه كان خجله من نسبه إلى أمه واجتراء الناس عليه بمسبتها كلما تعمدوا الغض منه والإساءة إليه.

ويؤخذ من بعض هذه المعايرات أنها كانت تؤجر للغناء بمكة فإن عمرًا شتم أورى بنت الحارث بن عبد المطلب بمجلس معاوية فانتهرته قائلة: «وأنت يا ابن النابغة تتكلم وأمك كانت أشهر امرأة تغني بمكة وآخذهن لأجرة؟ اربع على ظَلْعك واعن بشأن نفسك فوالله ما أنت من قريش في اللباب من حسبها ولا كريم منصبها ولقد ادّعاك خمسة نفر من قريش كلهم يزعم أنه أبوك فسئلت أمك عنهم فقالت كلهم أتاني فانظروا أشبههم به فألحقوه به»».

قلت: هكذا أورد العقاد القصة بغير تخريج ولا تحقيق، وهذا الكاتب قد فتن به الكثير، حتى أصبح ما كتبه عن صحابة النبي £ يدرس بأهم مراحل التربية والتعليم وتساق على أنها من المسلمات، مع افتقارها إلى المنهج العلمي من التخريج والتحقيق كما بينه علماء الصنعة من المحدثين خاصة علم الإسناد الذي بين أهميته الإمام مسلم في «مقدمة صحيحه» باب «الإسناد من الدين»، حيث قال:

١- وحدثني محمد بن عبد الله بن

مَهْزَاد من أهل مَرْو قال: سمعت عَبْدان بن عثمان يقول: سمعت عبد الله بن المبارك يقول: «الإسناد من الدين، ولولا الإسناد لقال من شاء ما شاء».

٢- وقال محمد بن عبد الله: حدثني العباس بن أبي رزمة قال: سمعت عبد الله يقول: بيننا وبين القوم القوائم. يعني الإسناد. اهـ.

قلت: وهذا العلم غفل عنه كثير من الأدباء والكتاب، فهمهم جمع الروايات وسردها من غير بحث في أسانيدها ؛ لأنهم ليسوا من أهل الصنعة التي تعرف به حقيقة الروايات، فهمهم لا يتعدى اللغويات، في حين أن الإسناد خصِّيصَّة للمسلمين، كما قال الإمام أبو محمد بن حزم في كتابه «الفصل في الملل والأهواء والنحل» (٢ / ٨٢): «نقل الثقة عن الثقة مع الاتصال حتى يبلغ النبي £ خص الله به المسلمين دون سائر أهل الملل كلها وأبقاه عندهم غضًا جديدًا على قديم الدهور». اهـ.

قلت: وفي العصر الحديث اعترف الباحثون الأجانب للمحدثين بدقة عملهم وأقروا بحسن صنيعهم، واتخذ علماء التاريخ من قواعدهم أصولاً يتبعونها في تقصي الحقائق التاريخية، ووجدوا فيها خير ميزان توزن به وثائق التاريخ كما في كتاب «مصطلح التاريخ» للدكتور أسد رستم، حيث تجده يعتمد كلام ابن الصلاح في علوم الحديث بحروفه.

لذلك قال الإمام القاسمي في كتابه «قواعد التحديث من فنون مصطلح الحديث» ص(٤٩): وكان الإمام الشافعي رحمه الله تعالى يقول: «لولا أهل المحابر لخطبت الزنادقة على المنابر».

ثانيًا: التخريج

هذه القصة أخرجها العباس بن بكار الضبي في كتابه «أخبار الوافدات من النساء على معاوية بن أبي سفيان» ص(١٣، ١٤) ح(٧).

قال: حدثنا عبد الله بن سليمان المديني عن قتادة قال: دخلت أروى بنت الحارث بن عبد المطلب على معاوية وهي عجوز كبيرة، فلما رآها قال: مرحبًا بك يا خالة، كيف كنت بعدي ؟ قالت: بخير، كيف حالك وكيف أنت يا ابن أخي، لقد كفرت النعمة وأسأت لابن عمك الصحبة وتسميت بغير اسمك، وأخذت غير حقك لا نبلاً منك ولا من أبيك في دنيا ولا سابقة كانت لكم في الإسلام، لكن كفرتم بما جاء به محمد £ ، فاتعس الله منكم الجدود وأضرع منكم الخدود ورد الحق إلى أهله، وكانت كلمتنا العليا ونبينا المنصور - ولو كره المشركون - على من ناوأه، فوثبتم علينا من بعده واحتججتم على سائر العرب بقرابتكم من رسول الله، ونحن أقرب إليه من حبل الوريد، وأحق بهذا الأمر منكم، فكنا فيكم بمنزلة بني إسرائيل في آل فرعون وكان سيدنا منكم بعد نبينا £ بمنزلة هارون من موسى وغايتنا الجنة وغايتكم النار.

فقال لها عمرو بن العاص: كفى أيتها العجوز وغضي طرفك واقصري من شر لفظك فإنه أمير المؤمنين.

قالت له: إيه عنك يا ابن النفيرة، فوالله لعهدي بأمك بأبيات مكة وهي باكية من الخطيئة من كل عبد لنا عاهر، ولقد احتكم فيك خمسة من قريش كلهم يدعيك ابنه وغلب عليك جزار قريش، فقال لها سعيد بن العاص: أيتها العجوز الضالة اقصري من قولك مع ذهاب عقلك إنه لا تجوز شهادتك وحدك.

قالت: وأنت يا ابن الباغية تتكلم وأمك أشهر بغيًا فإن أباك قد راودها فادعاك. فقال لها مروان بن الحكم: كفى أيتها المرأة وأقصدي لما جئت له. قالت له: أنت يا ابن الزرقاء تتكلم والله لأنت أشبه بالعشير مولى الحارث بن كلدة منك بالحكم ابن أبي العاص، ولقد رأيت الحكم سبط الشعر مديد القامة فإنْ بينكما من القرابة إلا كقرابة الفرس الضامر من الأتان المقرب فسل عما أخبرتك به أمك فإنها تعلمك ذلك. ثم التفتت إلى معاوية وقالت: ما عرضني وما جرأ عليَّ هؤلاء أحدٌ غيرك يا ابن القائلة في قتل حمزة:

نحن جزيناكم بيوم بدر
والحرب بعد الحرب ذات سَعِر
ما كان لي من عتبة من صبر
ولا أخي وعمتي وبكر
سكن وخشي غليل صدري
سليت همي وشفيت صدري
فشكر وحشى على دهري
حتى تواري اعظمي في قبري

فأجابتها ابنة عمي وهي تقول:

جـزيت في بـدر وغـيـر بـدر
يـا ابـنـة وقـاع عـظـيم الـكـفـر
صـبـحك الـلـه غـداة الـنـحـر
بـالـهـا شـمـيـن الـطـوال الـزهـر
لـكـل قـطـاع حـسـام يـخـر
حـمـزة لـيـثـي وعـلـي صـقـري
أعطيت وحشياً ضمير الصدر
هـتك وحشي حـجـاب الـسـتـر
مـا لـلـبـغـايـا بـعـدهـا من فـخـر

فالتفت معاوية إلى عمرو ومروان فقال: ما جلب عليَّ هذا أحدٌ غيركما ولا أسمعني هذا الكلام إلا أنتما لا حييتما، ثم قال: يا خالة أقصدي إنا الفداء لك لحاجتك ودعي الأساطير عنك.

قالت: تعطيني ألفي دينار وألفي دينار وألفي دينار، قال لها: ما تصنعين بألفي دينار. قالت: اشتري بها عينًا خرارة في أرض خوارة تكون لفقراء بني الحارث بن عبد المطلب، قال: هي لك وما تصنعين بألفي دينار، قالت: أزوج بها فقراء بني الحارث بن عبد المطلب، قال هي لك، وما تصنعين بألفي دينار أخرى، قالت: أستعين بها على شدة الزمان وزيارة بيت الله الحرام، قال: قد أمرت لك بها يا خالة، ثم قال: أما والله لو كان عليٌّ حيًا ما أمر لك بهذا.

قالت: أتذكر عليًا فض الله فاك، وأجهدك بلاءك، ثم علا نحيبها وبكاؤها وأنشأت تقول:

ألا يـا عـين ويـحك أسـعـديـنـا
ألا أبـكـي أمـيـر الـمـؤمـنـين
رزيـنـا خـيـر من ركب الـمطـايـا
وحـبـسـهـا ومن ركب الـسـفـيـنـا
ومن لـبـس الـنـعـال ومن حذاهـا
ومن قـرأ الـمـثـاني والـمـئـيـنـا
ألا أبـلـغ مـعـاويـة بـن حـرب
فلا قـرت عـيـون الـشـامـتـيـنـا
أفي شـهـر الـصـيـام فـجـعـتـموه
بـخـيـر الـنـاس طرًا أجـمـعـيـنـا
ومن بـعـد الـنـبي فـدته نـفـسي
أبـو حـسن وخـيـر الـصـالـحـيـنـا
كـأن الـنـاس إذ فـقـدوا عـلـيـاً
نـعـام جـال في بـلـد سـنـين

لـقـد عـلـمـت قريش حـيث كـانت
بـأنك خـيـرهـا حـسـبًـا وديـنًـا
إذا اسـتـقـبـلت وجه أبي حـسـين
رأيت الـبـدر راق الـنـاظـريـنـا
فلا والـلـه لا أنـسـى عـلـيًـا
وحـسن صلاته في الـراكـعـيـنـا

فبكى معاوية وقال: كان والله يا خالة كما قلت وأفضل، وأمر لها بالذي سألت ثم قامت فانصرفت.

قلت: وأورد هذه القصة ابن عبد ربه الأندلسي في العقد الفريد (١ / ١٣٠)، كذلك أوردها أحمد زكي صفوت في «جمهرة خطب العرب» (٢ / ٣٨٢).

ثالثا: التحقيق

هذه القصة واهية وبها علتان:

الأولى: الطعن في الراوي.

الثاني: السقط في الإسناد.

أما العلة الأولى وهي الطعن في الراوي، وهذه العلة مركزة في العباس بن بكار الضبيِّ.

١- قال الإمام الدارقطني في كتابه «الضعفاء والمتروكين» ترجمة (٤٢٤): «عباس بن بكار الضبي، بصري كذاب».

٢- قال الإمام العقيلي في كتابه «الضعفاء الكبير» (٣ / ٣٦٣ / ١٣٩٩): «العباس بن بكار الضبي بصري الغالب على حديثه الوهم والمناكير».

٣- قال الإمام ابن حبان في كتابه «المجروحين» (٢ / ١٩٠): «العباس بن الوليد بن بكار: شيخ من أهل البصرة يروي عن أبي بكر الهذلي وخالد الواسطي وأهل البصرة العجائب، روى عنه محمد بن زكريا الغلابي وأهل العراق لا يجوز الاحتجاج به بحال ولا كتابة حديثه إلا على سبيل الاعتبار للخواص».

٤- قال الإمام الذهبي في «الميزان» (٢ / ٣٨٢ / ٤١٦٠): «العباس بن بكار الضبي بصري عن خالد أبي بكر الهذلي قال الدارقطني: كذاب».

قلت: ثم ذكر الإمام الذهبي بعضًا من أباطيله ومصائبه التي تدل على تشيعه.

أ- قال الإمام الذهبي: ومن أباطيله: عن خالد بن أبي عمرو الأزدي عن الكلبي عن أبي صالح

عن أبي هريرة قال: مكتوب على العرش: لا إله إلا الله وحدي محمد عبدي ورسولي، أيدته بعلي.

ب- وقال الإمام الذهبي: ومن مصائبه: حدثنا عبد الله بن زياد الكلابي عن الأعمش عن زر عن حذيفة - مرفوعًا - في المهدي فقال سلمان: يا رسول الله، من أي ولدك ؟ قال: من ولدي هذا وضرب بيده على الحسين.

٥- وأورده الحافظ ابن حجر في «لسان الميزان» (٣ / ٢٢٩) (٧٥ / ٤٤٢٦): وأقر ما أورده الإمام الذهبي في «الميزان»، وزاد عليه قول أبي نعيم الأصبهاني: «يروي المناكير - لا شيء - ومن مناكيره أن رسول الله £ وجه عليًا إلى عمران بن حصين الخزاعي يعوده، فلما قام من عنده اتبعه بصره إلى أن غاب عنه فقيل له: إنا لنراك أتبعت بصرك عليًا فقال: نعم، سمعت رسول الله £ يقول: النظر إلى علي عبادة فأحببت أن استكثر من النظر إليه».

قلت: وهذا يدل على تشيع هذا الكذاب صاحب المصائب والأباطيل والمناكير الذي اختلق هذه القصة المكذوبة.

العلة الثانية: انقطاع السند حيث قال: «العباس بن بكار الضبي الكذاب حدثنا عبد الله بن سليمان المديني عن قتادة قال: دخلت أروى بنت الحارث ابن عبد المطلب على معاوية...» القصة.

هذا السند فيه سقط، حيث إن قتادة بن دعامة السدوسي أبو الخطاب البصري:

١- أورده الإمام المزي في «تهذيب الكمال» (١٥ / ٢٢٤ / ٥٤٣٤): «ونقل عن عمرو بن علي أن قتادة ولد سنة إحدى وستين ومات سنة سبع عشرة ومائة وهو ابن ست وخمسين». اهـ.

٢- أما معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه أورده الحافظ ابن كثير في «الإصابة» (٦ / ١٥١ / ٨٠٧٤) قال:

«معاوية بن أبي سفيان صخر بن حرب بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف القرشي الأموي، أمير المؤمنين، مات في رجب سنة ستين على الصحيح». اهـ.

قلت: بالمقارنة بين سنة ولادة قتادة وبين سنة وفاة معاوية رضي الله عنه نجد أن قتادة ولد سنة إحدى وستين، بينما معاوية رضي الله عنه توفي سنة ستين، أي أن قتادة ولد بعد موت معاوية، فكيف يقول قتادة: دخلت أروى على معاوية ويحدث عن أروى ومعاوية.

فهذا من مصائب وأباطيل العباس بن بكار الضبي، حيث إن قتادة لم ير معاوية فالسند هنا منقطع بما بينهما من التواريخ والوفيات، وهذا هو النوع الستون كما في «تدريب الراوي» (٢ / ٣٤٩): «التواريخ والوفيات هو فن مهم به يعرف اتصال الحديث وانقطاعه، وقد ادعى قوم الرواية عن قوم فنظر في التاريخ فظهر أنهم زعموا الرواية عنهم بعد وفاتهم بسنين». اهـ.

وقال سفيان الثوري: لما استعمل الرواة الكذب استعملنا لهم التاريخ.

قلت: وهذا السقط في الإسناد من كذب العباس بن بكار الضبي فإنه قد اختلق هذا السند كما اختلق هذه القصة المكذوبة.

وإن كان من إرسال قتادة فهذا وهن على وهن، حيث أورد السيوطي في «التدريب» (١ / ٢٠٥): وكان يحيى بن سعيد لا يرى إرسال قتادة شيئًا ويقول: هو بمنزلة الريح.

قلت: وبهذا التخريج والتحقيق تصبح هذه القصة واهية، وما نقله العقاد في كتابه من سب الصحابية أروى بنت الحارث بن عبد المطلب بنت عم النبي £ للصحابي عمرو بن العاص وقذف أمه كذب مختلق مصنوع كشف عنه المنهج العلمي الحديثي من التخريج والتحقيق، وكذلك شتم الصحابي الجليل عمرو بن العاص للصحابية بنت عم النبي £ كذب مختلق مصنوع ؛ لأن الطعن واللعن والفحش والهمز واللمز والتنابز ليس من صفات المؤمنين، وقد قال الله تعالى: «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِنْ قَوْمٍ عَسَى أَنْ يَكُونُوا خَيْرًا مِنْهُمْ وَلا نِسَاءٌ مِنْ نِسَاءٍ عَسَى أَنْ يَكُنَّ خَيْرًا مِنْهُنَّ وَلا تَلْمِزُوا أَنْفُسَكُمْ وَلا تَنَابَزُوا بِالأَلْقَابِ بِئْسَ الاسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الإِيمَانِ وَمَنْ لَمْ يَتُبْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ».

هذا ما وفقني الله إليه وهو وحده من وراء القصد.

الحلقة الرابعة عشر

إعلام المصلين والولاة بمن يقدمونه لإمامة الصلاة

إعداد المستشار/ أحمد السيد علي

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله.

نتحدث في هذا المقال عمن تحرم إمامته وتصح الصلاة خلفه، ثم عن إمامة الفاسق:

٢- من تحرم إمامته وتصح الصلاة خلفه:

تحدثنا فيما مضى عمن تحرم إمامته ولا تصح الصلاة خلفه، ونتحدث الآن بمشيئة الله عمن تحرم إمامته وتصح الصلاة خلفه:

إمامة الرجل للمرأة الأجنبية في خلوة:

قد يحدث أن يخلو رجل بامرأة أجنبية في مكان ما كجهة العمل، ويحين وقت الصلاة، فهل يجوز له أن يؤمها في الصلاة في تلك الخلوة أم لا؟ وللرد على هذا السؤال نقول:

تعريف المرأة الأجنبية:

هي المرأة غير المُحَرَّمة على الرجل حرمة مؤبدة، أي يحل له الزواج بها سواء عاجلاً أم آجلاً، والمحرمات على سبيل التأبيد «سواء كانت الحرمة بسبب النسب أو الرضاع أو المصاهرة» يحل للرجل النظر إليهن والسفر معهن والخلوة بهن، ومصافحتهن، ويحرم عليه الزواج بهن مطلقًا.

حكم إمامة الرجل لأجنبية في خلوة:

يحرم على الرجل والمرأة أن يجتمعا في خلوة ويحرم عليه أن يؤمها ويحرم عليها أن تصلي خلفه في تلك الخلوة، وذلك لمخالفتهما لنهي النبي ﷺ، ولكن مع أنهما يأثمان على الخلوة إلا أن الصلاة تصح إن أتيا بشروطها وأركانها وواجباتها، وتقع مجزئة فلا يعيدانها.

ثالثًا: من تكره إمامته:

تحدثنا فيما مضى عمن تحرم إمامته ولا تصح الصلاة خلفه، ومن تحرم إمامته وتصح الصلاة خلفه، ونتكلم بمشيئة الله تعالى عمن تكره إمامته:

١- إمامة الفاسق:

تعريف الفاسق: الفاسق في اللغة: هو من خرج عن طاعة الله بفعل كبيرة دون الكفر أو بالإصرار على صغيرة.

حكم إمامة الفاسق: اختلف الفقهاء في ذلك على رأيين:

القول الأول: يرى صحة الصلاة خلف الفاسق ولو كان ظاهر الفسق:

دليله:

١- عموم قول النبي ﷺ: «يؤم القوم أقرؤهم لكتاب الله». [أخرجه مسلم].

٢- عن أبي ذر الغفاري رضي الله عنه قال: قال لي رسول الله ﷺ: «كيف أنت إذا كانت عليك أمراء يؤخرون الصلاة عن وقتها. قال: قلت: فما تأمرني؟ صل الصلاة لوقتها فإن أدركتها معهم فصلِّ فإنها لك نافلة». [أخرجه مسلم].

وفي لفظ: «فإن صلت لوقتها كانت نافلة وإلا

كنت قد أحرزت صلاتك». [أخرجه مسلم]. وفي لفظ: «فإن أدركت الصلاة معهم فصلِّ ولا تقل إني قد صليت فلا أصلي». [رواه مسلم]. وفي لفظ: «فإنها زيادة خير». [أخرجه مسلم]، فتأخيرهم الصلاة عن وقتها فسق، ومع ذلك أمره ﷺ بالصلاة معهم مع سبق صلاته.

٣- عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «يصلون لكم فإن أصابوا فلكم ولهم وإن أخطأوا فلكم وعليهم». [أخرجه البخاري].

٤- قوله ﷺ: «صلوا خلف من قال: لا إله إلا الله». [رواه الدارقطني وضعفه الألباني في إرواء الغليل وقال: كل طرق الحديث واهية جدًا].

٥- عموم قوله ﷺ: «تفضل صلاة الجماعة على صلاة الفذ بخمس وعشرين درجة». [متفق عليه].

٦- فعل الصحابة رضي الله عنهم، ومنهم:

أ- عبد الله بن عمر رضي الله عنهما حيث كان يصلي خلف الحجاج. [أخرجه البخاري].

والحجاج معروف بأنه من أفسق عباد الله وأظلم الحكام، وقال نافع: كان ابن عمر يصلي مع الخشبية [هم قوم من الجهمية يقولون: إن الله لا يتكلم والقرآن مخلوق، ويقال: هم ضرب من الشيعة لأنهم حفظوا خشبة زيد بن علي حين صلب]، والخوارج [وهم من خرجوا على علي رضي الله عنه] زمن ابن الزبير وهم يقتتلون فقيل له أتصلي مع هؤلاء ومع هؤلاء وبعضهم يقتل بعضًا؟ فقال: من قال: حي على الصلاة أجبته، ومن قال: حي على الفلاح أجبته، ومن قال: حي على قتل أخيك المسلم وأخذ ماله قلت: لا. [رواه سعيد بن منصور في سننه]. فهذا فعل ابن عمر رضي الله عنهما وقد كان من أشد الناس تحريًا لاتباع السنة واحتياطًا لها.

ب- الحسن والحسين رضي الله عنهما وغيرهما من الصحابة كانوا يصلون مع مروان.

ج- الذين كانوا في ولاية زياد وابنه كانوا يصلون معهما.

د- وقد صلوا وراء الوليد بن عقبة وقد شرب الخمر وصلى الصبح أربعًا وقال: أزيدكم؟

هـ- لأنه رجل صحت صلاته فصح الائتمام به كغيره.

القول الثاني: عدم صحة الصلاة خلف الفاسق:

وأصحاب هذا القول يفرقون بين ما إذا كان الفاسق ظاهر الفسق فعلى المأمومين إعادة الصلاة، أو كان غير ظاهر الفسق فلا إعادة عليهم.

دليله:

١- عن جابر رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ على منبره يقول: «لا تؤمن امرأة رجلاً ولا فاجر مؤمنًا إلا أن يقهره بسلطان أو يخاف سوطه أو سيفه». [أخرجه ابن ماجه وضعفه الألباني في الإرواء].

٢- عن حبيب بن عمر الأنصاري عن أبيه قال: سألت واثلة بن الأسقع، قلت: أصلي خلف القدري ؟ قال: لا تصلِّ خلفه، ثم قال: أما أنا لو صليت خلفه لأعدت صلاتي. [رواه الأثرم].

٣- قال أبو داود: سألت أحمد وقيل له: إذا كان الإمام يسكر، قال: لا تصلِّ خلفه البتة، وسأله رجل قال: صليت خلف رجل ثم علمت أنه يسكر أعيد؟ قال: نعم أعد، قال: أيتهما صلاتي ؟ قال: التي صليت وحدك. وسأله رجل قال: رأيت رجلاً سكران أصلي خلفه؟ قال: لا، قال: فأصلي وحدي ؟ قال: أين أنت ؟ في البادية؟ المساجد كثيرة، قال: أنا في حانوتي، قال: تخطاه على غيره من المساجد. وقال أبو داود سمعت أحمد رحمه الله سئل عن إمام قال: أصلى بكم رمضان بكذا وكذا درهمًا، قال: أسأل الله العافية من يصلي خلف هذا ؟ قال: لا تصلِّ خلف من يشارط ولا بأس أن يدفعوا إليه من غير شرط، وقال: لا تصلوا خلف من لا يؤدي الزكاة.

٤- لأن الإمامة تتضمن حمل القراءة ولا يؤمن تركه لها، ولا يؤمن ترك بعض شرائطها كالطهارة وليس ثمة أمارة ولا غلبة ظن يؤمنان ذلك.

بينا اختلاف الفقهاء في حكم إمامته، وذكرنا

أدلة الفريقين، والآن نتحدث بمشيئة الله تعالى عن الرد على أدلة الفريقين:

الرد على أدلة القول الأول:

رد أصحاب القول الثاني على أدلة الرأي الأول بالآتي:

١- الرد على حديث «يؤم القوم»، وحديث: «صلوا خلف من قال لا إله إلا الله»، وحديث: «تفضل صلاة الجماعة» بأن حديث «صلوا خلف من قال لا إله إلا الله» حديث ضعيف، كما أن الأحاديث الثلاثة عامة، وحديث: «لا تؤمن امرأة رجلا ولا فاجرًا مؤمنًا» أخص من أحاديثهم، فتعين تقديمه عليهم، وأحاديثهم نقول بها في الجمع والأعياد، وتعاد.

٢- حديث أبي ذر يدل على صحة الصلاة نافلة، والنزاع في الفرض.

٣- فعل الصحابة محمول على أنهم خافوا الضرر بترك الصلاة معهم، ويؤيده ما جاء عن عطاء وسعيد بن... أنهما كانا في المسجد والحجاج يخطب فصليا بلا يماء وإنما فعلا ذلك لخوفهما على أنفسهما إن صليا على وجه يعلم بهما.

٤- قياسهم على صحة الغير منقوض بالخنثى والأمى.

الرد على أدلة القول الثاني:

١- الرد على حديث جابر: «لا تؤمن امرأة رجلاً ولا فاجرًا مؤمنًا» من ناحيتين:

الأولى: من ناحية السند: الحديث ضعيف.

الثانية: من ناحية المتن: على فرض صحة الحديث فإن المراد بالفاجر الكافر ؛ لقوله تعالى: «إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ (١٣) وَإِنَّ الْفُجَّارَ لَفِي جَحِيمٍ (١٤) يَصْلَوْنَهَا يَوْمَ الدِّينِ (١٥) وَمَا هُمْ عَنْهَا بِغَائِبِينَ» [الانفطار: ١٢ - ١٦]، والفاجر الذي لا يغيب عن جهنم كافر ؛ لأن الفاجر الذي فيه إيمان يمكن أن يغيب عن جهنم، ولقوله تعالى: «كَلَّا إِنَّ كِتَابَ الْفُجَّارِ لَفِي سِجِّينٍ (٧) وَمَا أَدْرَاكَ مَا سِجِّينٌ (٨) كِتَابٌ مَرْقُومٌ (٩) وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ (١٠) الَّذِينَ يُكَذِّبُونَ بِيَوْمِ الدِّينِ» [المطففين: ٦- ١١]، فالذي يكذب بيوم الدين كافر.

٢- ما جاء عن حبيب بن عمر وعن أحمد مردود عليه بفعل الصحابة رضي الله تعالى عنهم.

٣- ترك بعض شرائط الصلاة كالطهارة ؛ إن علم به المأمون بطلت صلاته وصلاتهم لا لأجل فسقه، ولكن لأجل تركه شرطًا من شروط صحة الصلاة، وهو شرط الطهارة، فمعصيته تلك تتعلق بالصلاة فلا يصح أن يقاس عليها معصيته الخارجة عن الصلاة كالسكر والغيبة وغيرهما.

القول الراجح: هو القول الأول القائل بصحة الصلاة خلف الفاسق ؛ لقوة أدلتهم وسلامتها عن المعارض. قال الشيخ ابن عثيمين رحمه الله: «هذا القول لا يسع الناس اليوم إلا هو ؛ لأننا لو طبقنا القول الأول «القول الأول عنده القول بعدم صحة الصلاة» يراجع في ذلك كتاب الشرح الممتع، على الناس ما وجدنا إمامًا يصلي للإمامة». اهـ.

ومِن ثَمَّ يتضح أن الصلاة خلف الفاسق صحيحة، وإن كان يتعين على المصلي أن يبحث عن الإمام التقي الورع العدل فيصلي خلفه فإن لم يجد وصلى خلف الفاسق فصلاته صحيحة، ولا يصح للمصلي أن يلتمس الصلاة وراءه الفسقة مرتكبي الكبائر أو أهل البدع، ومن نظر إلى أحوال الأئمة الآن يجد العجب العجاب، فكم رأينا أئمة يشرون الدخان والشيشة، بل إن أحدهم ظل ممسكًا بالسجيارة حتى وصل إلى باب المسجد، ثم وقف أمام الباب يشربها حتى انتهى منها، ثم دخل إلى المسد لإمامة المصلين، ولا حول ولا قوة إلا بالله العظيم.

وللحديث بقية إن شاء الله تعالى.



فتاوى

تجيب عليها لجنة الفتوى بالمركز العام

تكثير صفوف الجنازة

يسأل السائل: محمد علوان - منيا القمح - شرقية عن مشروعية تكثير صفوف الجنازة وهل صحيح ما يفعله بعض الأئمة إذا رأى عددًا من الصفوف مكتملة في صلاة الجنازة فإنه يقسم هذه الصفوف ويؤخرها لتكثير صفوف الجنازة؟

الجواب: إن تسوية الصفوف من تمام الصلاة؛ لقوله £ : «سووا صفوفكم، فإن تسوية الصفوف من إقامة الصلاة». متفق عليه.

قال أهل العلم: ومن تسوية الصفوف إكمال الصف الأول فالأول، وألا يشرع في إنشاء الصف الثاني إلا بعد كمال الصف الأول، وهكذا، وهذا موضع اتفاق بين الفقهاء ؛ لقوله £ : «أتموا الصف المقدم ، ثم الذي يليه، فما كان من نقص فليكن في الصف المؤخر». أخرجه أحمد وأبو داود والنسائي وصححه الألباني.

وعليه فلا ينبغي أن يقف المصلي في صف وأمامه صف آخر ناقص أو فيه فرجة ، وعلى هذا إذا كان الجمع كبيرًا في صلاة الجنازة فينبغي للإمام أن يقيم الصفوف على هذا النحو ، أما إذا كان الجمع قليلاً ولا يكمل ثلاثة صفوف تامة، فعلى الإمام أن يصف المصلين في ثلاثة صفوف ؛ لما روي عن مالك بن هبيرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله £ : «ما من مسلم يموت فيصلى عليه ثلاثة صفوف من المسلمين إلا أوجبه». وفي رواية: «إلا غفر له». أخرجه أحمد وأبو داود والترمذي وحسنه، وأقره الحافظ في الفتح، وله شاهد من حديث أبي أمامة رضي الله عنه عند الطبراني في الكبير.

تعليق الستائر للزينة

ويسأل سؤالاً ثانيًا: ما حكم تعليق الستائر على الجدران كناحية جمالية؟

الجواب: تعليق الستائر على الجدران على ثلاثة أقسام:

١- إذا كانت الستائر من الحرير أو عليها صور لذوات الأرواح فهذه الستائر يحرم تعليقها.

٢- إذا خلت مما سبق ولكنها وضعت للزينة فهذه مكروهة.

٣- إذا وضعت لحاجة وهي خالية من الصور والحرير فهي مباحة ولا حرج.

واستدل العلماء لما سبق بخبر الإمام مسلم في صحيحه أن النبي £ قال: «إن الله لم يأمرنا أن نُلبس الجدران واللبن». ويحرم تزيينها بالحرير والمصور لعموم الأخبار الواردة فيها. اهـ.

قال الإمام النووي رحمه الله في «المجموع»: قال الشيخ نصر المقدسي في تهذيبه: يحرم تنجيد البيوت بالثياب المصورة سواء من الحرير وغيره لنهي النبي £ عن تستير الجدر.

وقال زكريا الأنصاري الشافعي في «أسنى المطالب»: «يكره للرجال وغيرهم تزيين البيوت بالثياب ويحرم تزيينها بالحرير والمصور، وذكر خبر الإمام مسلم».

وعليه ؛ فإنه يباح استخدام الستور للحاجة من حر أو برد أو ستر الأعين عن النظر، لكن إذا لم يكن لها حاجة فيكره إذا لم تكن مصورة أو من الحرير، وتحرم إن كانت كذلك.

□□□ □□□ □□□



يسأل الطالب: علي أحمد سليم - من النوبة يقول:

كيف تمسح المرأة شعرها في الوضوء ؟

والجواب: صفة مسح المرأة رأسها عند الوضوء كما يمسح الرجل رأسه سواءً بسواء، فإن الرجل والمرأة مخاطبان، يقول الله تعالى: «وَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ»، وقد بين النبي £ صفة المسح على الرأس أنها تبدأ من مقدم الرأس حتى تنتهي إلى آخره، ثم تعود إلى المكان الذي بدأت منه. ويكون المسح للشعر الثابت على الرأس وليس المسترسل أو الضفائر.

وكذلك تمسح المرأة على ناصيتها وخمارها، كما يمسح الرجل على ناصيته وعمامته، وذلك لما روى المغيرة بن شعبة أن النبي £ مسح بناصيته وعمامته، ولما ورد عن عائشة رضي الله عنها أنها مسحت على مقدم رأسها.

صعق الدجاج بعد ذبحه

يسأل السائل: ع. ع. ح من القنايات شرقية يقول:

عندنا في الشركة يتم ذبح الدجاج ذبحًا سليمًا، لكن يقوم العمال بصعقها كهربيًا بعد تمام الذبح لكي لا تتحرك كثيرًا، فهل هذا العمل جائزًا؟

الجواب: إن الذكاة الشرعية لها شروط تتمثل في التسمية على الذبيحة، وقطع الحلقوم والودجين والمريء، فإذا تم الذبح مستوفيًا تلك الشروط فقد حل أكل الذبيحة، والطريقة المثلى للذبح هي الأكثر رحمة بالذبيحة؛ لقوله £ : «إن الله كتب الإحسان على كل شيء ، فإذا قتلتم فأحسنوا القتلة، وإذا ذبحتم فأحسنوا الذبحة، وليحد أحدكم شفرته، وليرح ذبيحته». رواه مسلم .

وعلى هذا فإذا كان ما ذكره السائل يفعل رحمة بالحيوان المذبوح ولا يترتب عليه أضرار صحية من حبس الدم في جسد الحيوان أو غير ذلك فهو من الإحسان الذي أُمرنا به ، أما إذا كان ما يفعل يترتب عليه تعذيب الحيوان ويترتب عليه أضرار صحية فينبغي تركه مع القول بحل الأكل من الذبيحة، والله أعلم.

استئجار ذكور الحيوانات لتلقيح الإناث

يسأل السائل: محمد ياسر محمد - شرقية

عن حكم استئجار ذكور الخيل لتلقيح الإناث ؟

والجواب: عامة أهل العلم لا يجيزون أن يدفع صاحب أنثى الحيوان ثمنًا لصاحب الفحل مقابل أن يلقح الذكر الأنثى، لما روي عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: نهى رسول الله £ عن ثمن عسب الفحل. (رواه البخاري).

أما إن كان السؤال عن استئجار الفحل لتلقيح الأنثى ويكون الثمن هنا بسبب أخذ الفحل يومًا أو يومين وحجزه من أجل ذلك؛ فحكم ذلك المنع وعدم الجواز، وهو قول الجمهور الأحناف والشافعية والحنابلة، مستدلين بالحديث السابق.

والراجح ما ذهب إليه الجمهور لعموم الأحاديث الدالة على النهي.

قال ابن حجر في الفتح: وعلى كل تقدير فبيع عسب الفحل وإجارته حرام لأنه غير متقوم ولا معلوم ولا يُقدر على تسليمه.

وفي عون المعبود قال: نُهِيَ عنه للغرر، لأن الفحل قد يضرب الأنثى فتلقح وقد لا تلقح. اهـ.

وقفات مع التوسل والوسيلة

الحلقة الثانية

إعداد/ محمد رزق ساطور

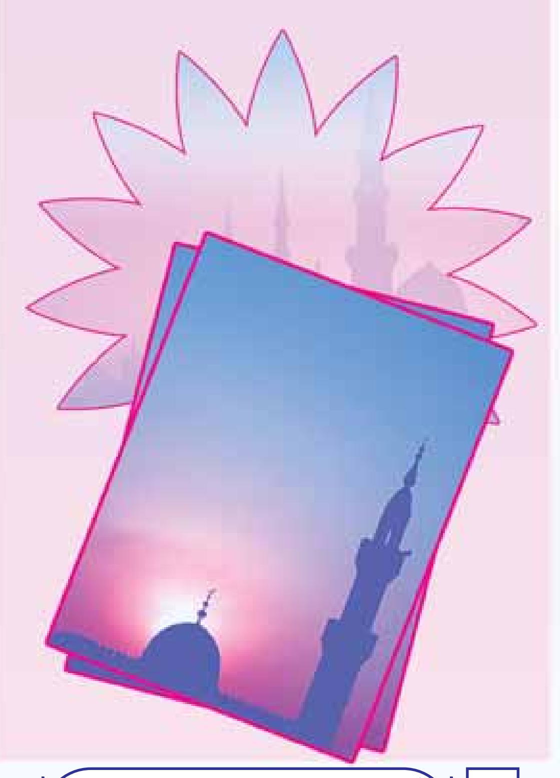
الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده:

إن موضوع التوسل من الموضوعات الهامة التي ينبغي أن نعتقد فيه العقيدة الصحيحة، خاصة وقد اختلطت المفاهيم وانتشرت الأباطيل والأهواء، فضلَّ فيه أهلُ الزيغ والهوى وهم يحسبون أنهم مهتدون، قال الله تعالى: «فَإِنْ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَكَ فَاعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَاءَهُمْ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِنَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ» [القصص: ٥٠]. فتعالوا نكمل ما بدأناه في التوسل.

قلنا: إن الوسيلة ما يقرّب العبد من الله بالعمل بأوامره ونواهيه وقسمنا التوسل إلى قسمين أساسيين، توسل مشروع، وتوسل ممنوع، وقلنا: إن التوسل المشروع أقسام ثلاثة: توسل إلى الله تعالى باسم من أسمائه الحسنى أو بصفة من صفاته العلى، وتوسل إلى الله تعالى بعمل صالح قام به العبد، وتوسل إلى الله بدعاء الرجل الصالح الذي ترجى إجابة دعائه، وذلك بأن يكون حيًا ويسمع ويقدر على ذلك.

أما التوسل الممنوع: فهو التوسل إلى الله تعالى بما لم يثبت في كتاب الله تعالى ولا في سنة المعصوم ﷺ، ولا دل عليه دليل من الشرع وهو أنواع:

النوع الأول: التوسل إلى الله تعالى بدعاء الموتى والغائبين والاستغاثة بهم وسؤالهم قضاء الحاجات وتفريج الكربات، ونحو ذلك، يقول الله تعالى: «وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ يَدْعُو مِنْ دُونِ اللَّهِ مَنْ لَا يَسْتَجِيبُ لَهُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَهُمْ عَنْ دُعَائِهِمْ غَافِلُونَ (٥) وَإِذَا حُشِرَ النَّاسُ كَانُوا لَهُمْ أَعْدَاءً وَكَانُوا بِعِبَادَتِهِمْ كَافِرِينَ» [الأحقاف: ٥، ٦]، فأول المخالفات والضلال في دعاء غير الله أنه - أي من يدعو غير الله تعالى - ترك دعاء الله ولجأ إلى غيره يدعوه ويرجوه ويسأله ويعتقد أنه قادر على نفعه ودفع الضر عنه، أيصلح أن يترك العبد ربه الحي الذي لا يموت والمجيب لمن دعاه والسميع لمن ناجاه ويدعو ميتًا ضعيفًا لا يستطيع نفع نفسه فضلاً عن غيره ؟!



بل قال الله عنه: «وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ يَدْعُو مِنْ دُونِ اللَّهِ مَنْ لاَ يَسْتَجِيبُ لَهُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَهُمْ عَنْ دُعَائِهِمْ غَافِلُونَ (٥) وَإِذَا حُشِرَ النَّاسُ كَانُوا لَهُمْ أَعْدَاءً وَكَانُوا بِعِبَادَتِهِمْ كَافِرِينَ»، فمن دعا غير الله تعالى فقد أجرم في حق الله ؛ إذ أعرض عن ربه ولجأ لغيره، ثم ليعلم أن من دعا غير الله لا يستجيب له إلى يوم القيامة، بل الأعجب أنه لا يشعر بدعاء من دعاه ولا يعلم عنه شيئًا، والأغرب المؤكد أنه حين يعلم يوم القيامة أن أحدًا قد دعاه من دون الله يتبرأ منه: «وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُوا مَكَانَكُمْ أَنْتُمْ وَشُرَكَاؤُكُمْ فَزَيَّلْنَا بَيْنَهُمْ وَقَالَ شُرَكَاؤُهُمْ مَا كُنْتُمْ إِيَّانَا تَعْبُدُونَ (٢٨) فَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ إِنْ كُنَّا عَنْ عِبَادَتِكُمْ لَغَافِلِينَ» [يونس: ٢٨، ٢٩].

ويقول الله تعالى: «وَلاَ تَدْعُ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لاَ يَنْفَعُكَ وَلاَ يَضُرُّكَ فَإِنْ فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذًا مِنَ الظَّالِمِينَ» [الأعراف: ١٩٧]، وقال تعالى: «ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ الْمُلْكُ وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ مَا يَمْلِكُونَ مِنْ قِطْمِيرٍ (١٣) إِنْ تَدْعُوهُمْ لاَ يَسْمَعُوا دُعَاءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا مَا اسْتَجَابُوا لَكُمْ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ وَلاَ يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ» [فاطر: ١٣، ١٤]، وقال تعالى: «قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ لاَ يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلاَ فِي الأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِنْ شِرْكٍ وَمَا لَهُ مِنْهُمْ مِنْ ظَهِيرٍ» [سبأ: ٢٢]، وقال تعالى: «قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ مِنْ دُونِهِ فَلاَ يَمْلِكُونَ كَشْفَ الضُّرِّ عَنْكُمْ وَلاَ تَحْوِيلاً (٥٦) أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَى رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا» [الإسراء: ٥٦، ٥٧]، وقال تعالى: «لَهُ دَعْوَةُ الْحَقِّ وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ لاَ يَسْتَجِيبُونَ لَهُمْ بِشَيْءٍ إِلاَّ كَبَاسِطِ كَفَّيْهِ إِلَى الْمَاءِ لِيَبْلُغَ فَاهُ وَمَا هُوَ بِبَالِغِهِ وَمَا دُعَاءُ الْكَافِرِينَ إِلاَّ فِي ضَلاَلٍ» [الرعد: ١٤]، ألا تدل تلك الآيات البينات على تحريم دعاء غير الله من الموتى والمقبورين والصالحين والأنبياء والمرسلين؟! وأن من دعا نبيًا أو وليًا، أو ملكًا، أو بشرًا، أو جنًا، وسألهم قضاء الحاجات، وتفريج الكربات، أن هذا من أعظم الشرك الذي حرمه الله ووصف به المشركين، حيث اتخذوا من دونه أولياء بزعمهم، قال الله تعالى: «وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لاَ يَضُرُّهُمْ وَلاَ يَنْفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَؤُلاَءِ شُفَعَاؤُنَا عِنْدَ اللَّهِ قُلْ أَتُنَبِّئُونَ اللَّهَ بِمَا لاَ يَعْلَمُ فِي السَّمَاوَاتِ وَلاَ فِي الأَرْضِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ» [يونس: ١٨]، لكن الشيطان الرجيم لا يترك الناس تفكر وتفهم لتتوب وترجع إلى الحق المبين، بل يلبس عليهم الحق حتى يستحسنوا الباطل ومن ثَمَّ لا يشعرون بجرم ما فعلوه: «.. بَلْ زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مَكْرُهُمْ وَصُدُّوا عَنِ السَّبِيلِ وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ» [الرعد: ٣٣].

فزين الشيطان الرجيم لمن دعوا غير الله تعالى بقوله: أنتم مسلمون وآباؤكم مسلمون تعرفون ربكم ولا تنكرونه ومن ثَمَّ فهذه الآيات البينات حق ولكن تقصد المشركين الذين كانوا لا يعرفون الله تعالى كأبي جهل وأقرانه من صناديد أهل مكة، ومن ثَمَّ فلا تنطبق عليكم تلك الآيات، ثم أنتم تتوسلون بالصالحين وهم يتوسلون بالأصنام، وأنتم تعتقدون في الله حق الاعتقاد لكن تدعون الأولياء والصالحين من باب الواسطة، فأنتم مذنبون لا ينبغي أن تتوجهوا إلى الله مباشرة لأن الذنوب تحول بينكم وبين الله تعالى، فتتخذون الواسطة حتى يقبلكم الله، ألا ترون إذا كان لأحدكم حاجة في مكان ما وذهبتم من غير واسطة لم تقض حاجتكم، وأنتم أيضًا تعرفون أن هذا هو الرب العظيم، وهذا عبد فقير لربه، فاطمئنوا فأنتم مع ذلك لم تقعوا في الشرك المحرم.

فأقول وبالله التوفيق: إن هذا التزيين المقصود منه توريط العبد في الشرك ليقع فيه ثم لا يفكر بعد ذلك في تركه لأنه لم يستقبحه.

وسأرد على تلك الشبهات واحدة تلو الأخرى:

الأولى: أما تمويهه بقوله أنتم مسلمون وآباؤكم مسلمون تعرفون ربكم ولا تنكرونه، أما أهل الشرك فلا يعرفونه بل ينكرونه، فهذا كلام فاسد لا يصح، فقد قال الله لنبيه ﷺ عن أهل الشرك ومعتقدهم في الله: «قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ أَمَّنْ يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالأَبْصَارَ وَمَنْ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَمَنْ يُدَبِّرُ الأَمْرَ فَسَيَقُولُونَ اللَّهُ فَقُلْ أَفَلاَ تَتَّقُونَ» [يونس: ٣١]، وقال سبحانه: «وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ فَأَنَّى يُؤْفَكُونَ» [العنكبوت: ٦١]، وقال سبحانه: «وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ نَزَّلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً

فَأَحْيَا بِهِ الأَرْضَ مِنْ بَعْدِ مَوْتِهَا لَيَقُولُنَّ اللَّهُ قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لاَ يَعْقِلُونَ» [العنكبوت: ٦٣]، وقال سبحانه: «وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ لَيَقُولُنَّ خَلَقَهُنَّ الْعَزِيزُ الْعَلِيمُ» [الزخرف: ٩]، وقال سبحانه: «قُلْ لِمَنِ الأَرْضُ وَمَنْ فِيهَا إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ (٨٤) سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلاَ تَذَكَّرُونَ (٨٥) قُلْ مَنْ رَبُّ السَّمَاوَاتِ السَّبْعِ وَرَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ (٨٦) سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلاَ تَتَّقُونَ (٨٧) قُلْ مَنْ بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ يُجِيرُ وَلاَ يُجَارُ عَلَيْهِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ (٨٨) سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ فَأَنَّى تُسْحَرُونَ» [المؤمنون: ٨٤- ٨٩].

إذن أهل الشرك والجاهلية أقروا بأنّ الله هو الخالق الرازق المحيي المميت الذي بيده ملكوت كل شيء وهو يجير ولا يجار عليه، ومع كل ذلك لما لجأوا لغير الله وسألوا غيره وتوجهوا بالعبادة لغيره وسمهم بالشرك والكفر والضلال المبين: «وَإِذَا رَأَى الَّذِينَ أَشْرَكُوا شُرَكَاءَهُمْ قَالُوا رَبَّنَا هَؤُلاَءِ شُرَكَاؤُنَا الَّذِينَ كُنَّا نَدْعُوا مِنْ دُونِكَ فَأَلْقَوْا إِلَيْهِمُ الْقَوْلَ إِنَّكُمْ لَكَاذِبُونَ (٨٦) وَأَلْقَوْا إِلَى اللَّهِ يَوْمَئِذٍ السَّلَمَ وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ» [النحل: ٨٦، ٨٧]، بل إنهم يحتجون بالقدر على شركهم، وهذا من قبيح صنيعهم، قال الله تعالى: «سَيَقُولُ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكْنَا وَلاَ آبَاؤُنَا وَلاَ حَرَّمْنَا مِنْ شَيْءٍ كَذَلِكَ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ حَتَّى ذَاقُوا بَأْسَنَا قُلْ هَلْ عِنْدَكُمْ مِنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَنَا إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلاَّ الظَّنَّ وَإِنْ أَنْتُمْ إِلاَّ تَخْرُصُونَ» [الأنعام: ١٤٨]، «وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُوا مَكَانَكُمْ أَنْتُمْ وَشُرَكَاؤُكُمْ فَزَيَّلْنَا بَيْنَهُمْ وَقَالَ شُرَكَاؤُهُمْ مَا كُنْتُمْ إِيَّانَا تَعْبُدُونَ (٢٨) فَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ إِنْ كُنَّا عَنْ عِبَادَتِكُمْ لَغَافِلِينَ» [يونس: ٢٨، ٢٩]، «وَقَالَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا عَبَدْنَا مِنْ دُونِهِ مِنْ شَيْءٍ نَحْنُ وَلاَ آبَاؤُنَا وَلاَ حَرَّمْنَا مِنْ دُونِهِ مِنْ شَيْءٍ كَذَلِكَ فَعَلَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَهَلْ عَلَى الرُّسُلِ إِلاَّ الْبَلاَغُ الْمُبِينُ» [النحل: ٣٥].

إذن المعرفة لن تمنع عن الإنسان وصف الشرك إن أشرك، فلقد قال الله تعالى لنبيه محمد ﷺ: «وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ» [الزمر: ٦٥].

الثانية: أما تزيين الشيطان لهم بقوله: أنتم تتوسلون بالصالحين وهم يتوسلون بالأصنام، فهذه شبهة أوهى من الأولى ؛ يقول الله تعالى: «إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ عِبَادٌ أَمْثَالُكُمْ فَادْعُوهُمْ فَلْيَسْتَجِيبُوا لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ» [الأعراف: ١٩٤].

وقد تمسك قوم نوح عليه السلام بعبادة غير الله وأوصى بعضهم بعضًا: «وَقَالُوا لاَ تَذَرُنَّ آلِهَتَكُمْ وَلاَ تَذَرُنَّ وَدًّا وَلاَ سُوَاعًا وَلاَ يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا» [نوح: ٢٣]، ففي العظمة لأبي الشيخ عن محمد بن كعب القرظي قال: كان لآدم عليه السلام خمسة بنين ود وسواع ويغوث ويعوق ونسر وكانوا عُبّادًا، فمات رجل منهم فحزنوا عليه حزنًا شديدًا، فجاءهم الشيطان فقال: حزنتم على صاحبكم هذا ؟ قالوا: نعم. قال: هل لكم أن أصور مثله في قبلتكم إذا نظرتم إليه ذكرتموه ؟ فقالوا: لا ؛ نكره أن تجعل لنا في قبلتنا شيئًا نصلي إليه. قال: فأفعله في مؤخر المسجد. قالوا: نعم، فصوره لهم حتى مات خمستهم فصور صورتهم في مؤخر المسجد ونقص العلم حتى تركوا عبادة الله وعبدوا هؤلاء الخمسة العُبّاد الذين ماتوا، فبعث الله عز وجل نوحًا عليه السلام يدعوهم إلى عبادة الله وتوحيده، فقالوا: «لاَ تَذَرُنَّ آلِهَتَكُمْ وَلاَ تَذَرُنَّ وَدًّا وَلاَ سُوَاعًا وَلاَ يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا».

الثالثة: أما تزيين الشيطان لهم ووسوسته بقوله: أنتم تعتقدون في الله حق الاعتقاد، لكن تدعون الأولياء والصالحين من باب الواسطة.

نقول: إن الواسطة لها ثلاثة أحوال؛ الأول: للتعريف: بمعنى أن لي حاجة في مكان ما فإن ذهبت وحدي ربما لا تُقضى الحاجة من أول مرة، فأنا أبحث عن واسطة لأحصل على حقي، مهمة الواسطة في هذه الحالة أن يعرف الطرف الثاني بي فعند ذلك تُقضى المصلحة، إذن مهمة الواسطة في هذه الحالة التعريف، ولله المثل الأعلى في السماوات والأرض، فهل هذا النوع من الواسطة يصلح مع الله تعالى، تعالى الله عن ذلك علوًا كبيرًا.

فالله تعالى هو العليم الذي لا تخفى عليه خافية في السماوات ولا في الأرض، «أَوَلاَ يَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ» [البقرة: ٧٧]، «وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لاَ تَعْلَمُونَ» [البقرة: ٢١٦]، «ذَلِكَ لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ وَأَنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ» [المائدة:

٩٧]، «أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُمْ وَأَنَّ اللَّهَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ» [التوبة: ٧٨]. إذن هذا النوع من الواسطة لا يصلح مع الله تعالى.

الثاني: واسطة لرد الظلم: بمعنى أن لي حاجة في مكان ما فإن ذهبت وحدي لم تُقْضَ الحاجة لأن القائم عليها ظالم، فمهمة الواسطة في هذه الحالة أن يرد عني الظلم فتقضى المصلحة، فهل هذا النوع من الواسطة يصلح مع الله تعالى، تعالى الله عن ذلك علوًا كبيرًا، فالله هو الحكم العدل: «إِنَّ اللَّهَ لاَ يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ وَإِنْ تَكُ حَسَنَةً يُضَاعِفْهَا وَيُؤْتِ مِنْ لَدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا» [النساء: ٤٠]، «إِنَّ اللَّهَ لاَ يَظْلِمُ النَّاسَ شَيْئًا وَلَكِنَّ النَّاسَ أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ» [يونس: ٤٤]، «وَوُضِعَ الْكِتَابُ فَتَرَى الْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَا وَيْلَتَنَا مَالِ هَذَا الْكِتَابِ لاَ يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلاَ كَبِيرَةً إِلاَّ أَحْصَاهَا وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا وَلاَ يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا» [الكهف: ٤٩]، «وَلَوْ أَنَّ لِكُلِّ نَفْسٍ ظَلَمَتْ مَا فِي الأَرْضِ لاَفْتَدَتْ بِهِ وَأَسَرُّوا النَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُا الْعَذَابَ وَقُضِيَ بَيْنَهُمْ بِالْقِسْطِ وَهُمْ لاَ يُظْلَمُونَ» [يونس: ٥٤]، إذن هذا النوع من الواسطة لا يصلح مع الله تعالى.

الثالث: واسطة لطمس الحقائق وإعطاء من لا حق له حق غيره: بمعنى أن هناك حاجة في مكان ما فإن ذهبتُ وحدي لم تُقْضَ الحاجة لأن الشروط لا تنطبق عليَّ ومن ثم ليست من حقي، فمهمة الواسطة في هذه الحالة أن يقلب الحقيقة ليجعل من لا حق له هو صاحب الحق، فهل هذا النوع من الواسطة يصلح مع الله تعالى، تعالى الله عن ذلك علوًا كبيرًا.

يقول الله تعالى: «أَفَنَجْعَلُ الْمُسْلِمِينَ كَالْمُجْرِمِينَ (٣٥) مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ» [القلم: ٣٥، ٣٦]، ويقول: «أَمْ نَجْعَلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَالْمُفْسِدِينَ فِي الأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ الْمُتَّقِينَ كَالْفُجَّارِ» [ص: ٢٨]، ويقول: «أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ أَنْ نَجْعَلَهُمْ كَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَوَاءً مَحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ» [الجاثية: ٢١]، وهذا النوع أيضًا من الواسطة لا يصلح مع الله تعالى.

إذن هذه الشبهات والتزيين الشيطاني لا تغني عن العباد شيئًا، فإذا وقع العبد في الشرك خسر الدنيا والآخرة وحُرِمَ خيرهما، يقول الله تعالى: «إِنَّ اللَّهَ لاَ يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدِ افْتَرَى إِثْمًا عَظِيمًا» [النساء: ٤٨]، «لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ وَقَالَ الْمَسِيحُ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ» [المائدة: ٧٢]، «حُنَفَاءَ لِلَّهِ غَيْرَ مُشْرِكِينَ بِهِ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ السَّمَاءِ فَتَخْطَفُهُ الطَّيْرُ أَوْ تَهْوِي بِهِ الرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ» [الحج: ٣١].

أخرج البخاري وأحمد عن عبد الله رضي الله عنه قال النبي ﷺ كلمة وقلت أخرى، قال النبي ﷺ: «من مات وهو يدعو من دون الله ندًا دخل النار». وقلت أنا: من مات وهو لا يدعو لله ندًا دخل الجنة.

وأخرج الترمذي وأحمد عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: كنت خلف رسول الله ﷺ يومًا فقال: «يا غلام، إني أعلمك كلمات، احفظ الله يحفظك، احفظ الله تجده تجاهك، إذا سألت فاسأل الله، وإذا استعنت فاستعن بالله». الحديث.

أخرج البخاري ومسلم عن عبد الله قال: لما نزلت: «الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَئِكَ لَهُمُ الأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ» [الأنعام: ٨٢]، شق ذلك على المسلمين، فقالوا: يا رسول الله، وأينا لا يظلم نفسه ؟ قال: «ليس ذلك، إنما هو الشرك، ألم تسمعوا ما قال لقمان لابنه: «يَا بُنَيَّ لاَ تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ» [لقمان: ١٣].

إذن قد استبان لمن يطلب الحق أن التوسل إلى الله تعالى بدعاء الموتى والغائبين والاستغاثة بهم وسؤالهم قضاء الحاجات وتفريج الكربات ونحو ذلك، من الشرك الأكبر الذي حرمه الله تعالى وحذر من الوقوع فيه، فلا تغتر بتلك الأباطيل، والجأ إلى الله وحده وتب إليه وادعه وحده حتى يقبلك ويغفر لك ويدخلك جنته، ورحم الله من قال:

يا من عدى ثم اعتدى ثم اقترف
ثم انتهى ثم ارعوى ثم اعترف
أبشر بقول الله في آياته
إن ينتهوا يغفر لهم ما قد سلف

وللحديث بقية إن شاء الله.



بدعة الاحتفال بليلة النصف من شعبان

إعداد/ أسامة بن عبدالله خياط
إمام المسجد الحرام



إن الحمدَ لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن سيدنا ونبينا محمدًا عبده ورسوله.

أما بعد:

فيا عباد الله، قال الله تعالى: «وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ» [الحشر: ٧]، وقال عزّ شأنه: «قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ» [آل عمران: ٣٠].

فكلُّ ما يصدر من المسلم - يا عباد الله - يجب أن يوزَنَ بهذا المعيار الرباني، ألا وهو طاعة رسول الله £ فيما جاء به، واتباعه فيما أمرَ به ونهى عنه، وإن رسول الرحمة والهدى صلوات الله وسلامه عليه قد نهانا عن الإحداث والابتداع في دين الله بأن نعبدَ الله بما لم يشرعه ولم يأذن به، كما جاء في حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنهما أن النبي £ كان يقول في خطبة الجمعة: «أما بعد: فإن خير الحديث كتاب الله، وخير الهدي هدي محمد £، وشر الأمور محدثاتها، وكل بدعة ضلالة». [أخرجه مسلم في صحيحه].

وفي الصحيحين عن عائشة رضي الله عنها أن النبي £ قال: «من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد».

وفي لفظ لمسلم: «من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد».

وفي هذا بيانٌ أن الله تعالى قد أكمل لهذه الأمة الدين وأتمَّ عليها النعمة، ولم يقبِض نبيه صلوات الله وسلامه عليه إلا بعد أن بيَّن للأمة كلَّ ما شرعَه لها من الأقوال والأعمال، ومن ذلك بيانُه £ أن كلَّ ما يحدثه الناس بعده من أقوال وأعمال هو مبتدَع مردود على مَن ابتدعه وأحدثه كائنًا من كان وإن نَسبه إلى الإسلام، وإن حسُن قصدُه في ذلك، فكل ذلك لا يغير من بدعية هذا العمل المحدث، ولا يعطيه حجية ولا قبولاً.

وإن مما ابتدعه بعض الناس في شهر شعبانَ هذا بدعةَ الاحتفال بليلة النصف منه وتخصيص يومها بالصيام وتخصيص ليلها بالقيام، وكلا الأمرين لم يقُم عليه دليلٌ صحيح ينهض للاحتجاج، إذ إنَّ كلّ ما ورد في فضل هذه الليلة وفي فضل الصلاة فيها أو فضل صيامها هو ما بين موضوع مخترعٍ لا أصل له، وبين ضعيفٍ واهن لا يُحتج بمثله، وفي ذلك قال الحافظ

العراقي رحمه الله: «حديث صلاة ليلة النصف من شعبان موضوع على رسول الله £ وكذبٌ عليه». وقال العلامة الإمام النووي رحمه الله: «الصلاة المعروفة بصلاة الرغائب، وهي اثنتا عشرةَ ركعة بين المغرب والعشاء ليلةَ أول جمعة من رجب، وصلاة ليلة النصف من شعبان مائة ركعة، هاتان بدعتان منكرتان، لا يُغترّ بذكرهما في بعض المصنفات ولا بالحديث المذكور فيهما، فإنّ كلَّ ذلك باطل». انتهى كلامه رحمه الله.

وكلا الإمامين الكبيرين - يا عباد الله - هما من الأعلام المشاهير المحققين في مذهب الإمام الشافعي رحمه الله.

وكذا صنّف الإمام أبو محمد عبد الرحمن بن إسماعيل المقدسي كتابًا هامًا في إبطال هاتين الصلاتين وبيان بدعيتهما، فأحسَن فيه حتى لم يدَع زيادةً لمستزيد.

وعلى تقدير أنها مفضلة، يعني على القولِ بأنها ليلة مفضلة إن سلمنا بذلك، فإن هذا لا يقتضي تخصيصها بعبادة مخصوصة بها دون غيرها، فإنّ يوم الجمعة هو خير يومٍ طلعت عليه الشمس كما ثبت في حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي £ قال: «خيرُ يوم طلعت عليه الشمس يوم الجمعة، فيه خُلق آدم، وفيه أدخل الجنة، وفيه أخرج منها، ولا تقوم الساعة إلا في يوم الجمعة». أخرجه مسلم في صحيحه.

ومع هذا الفضلِ العظيم له - يعني ليوم الجمعة - فقد نهى النبيّ £ عن تخصيصه بصيام أو تخصيصِ ليله بقيامٍ كما ثبت في صحيح مسلم رحمه الله عن أبي هريرة رضي الله عنه أنه قال: قال رسول الله £ : «لا تخصوا ليلة الجمعة بقيام من بين الليالي، ولا تخصّوا يوم الجمعة بصيام من بين الأيام، إلا أن يكون في صوم يوم أحدكم».

فلو كان تخصيص شيء من هذه الليالي بشيء من العبادة جائزًا لكانت ليلةُ الجمعة أولى بذلك من سواها.

أما الليلة المباركة الواردة في قوله عز اسمه: «إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةٍ مُبَارَكَةٍ» [الدخان: ٣]، فهذه الليلة هي ليلة القدر، وليست هي ليلة النصف من شعبان، كما بينت آية سورة القدر: «إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ» [القدر: ١]، وهذه الليلةُ التي ورد الكلامُ عليها في قوله: «إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ»، هي في رمضان لا في شعبان كما هو معلومٌ يا عباد الله.

فاتقوا الله عباد الله، واحرصوا على العمل بالثابت المشروع، وحذارِ من الانسياق وراء المبتدَع المحدَث مهما زيّنه المزيّنون وزخرفه المزخرفون؛ إذ لا عبادةَ إلا بما شرع الله ورسوله £ ، فاتبعوا - أيها المسلمون - ولا تبتدعوا، فقد كُفيتم.

جاء في الحديث الذي أخرجه الإمام أحمد في مسنده وأبو داود والترمذي وابن ماجه في سننهم بإسناد صححه الألباني عن العرباض بن سارية رضي الله عنه أنه قال: وعظنا رسول الله £ موعظةً وجلت منها القلوب وذرفت منها العيون، فقلنا: يا رسول الله، كأنها موعظة مودِّع فأوصنا، قال: «أوصيكم بتقوى الله، والسمع والطاعة، وإن تأمّر عليكم عبد، وإنه من يعش منكم بعدي فسيرى اختلافًا كثيرًا، فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين، عضوا عليها بالنواجذ، وإياكم ومحدثات الأمور، فإن كل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة».

فقوله صلوات الله وسلامه عليه: «كلّ بدعة ضلالة» - هو - كما قال أهل العلم - من جوامعِ الكلم، لا يخرج عنه شيء، وهو أصلٌ عظيم من أصول الدين، وهو كقوله: «من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد»، فكل من أحدث شيئًا ونسبَه إلى الدين ولم يكن له أصلٌ من هذا الدين يُرجع إليه فهو ضلالة والدّين منه بريء، وسواء في ذلك مسائل الاعتقادات أو الأعمال أو الأقوال الظاهرة والباطنة.

ألا فاتقوا الله عباد الله، وحذارِ من الابتداع فإنه شؤمٌ منذرٌ بسوء العاقبة، واستمسكوا بالثابت المشروع من دينكم، فإن العمل بالسنة يُمنٌ وبركة ومآل كريم ورضوان من الله رب العالمين.

واذكروا على الدّوام أن الله قد أمركم بالصلاة والسلام على خير الأنام، فقال في أصدقِ الكلام: «إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا» [الأحزاب: ٥٦].

اللهم صلِّ وسلم على عبدك ورسولك محمد، وارضَ اللهم عن خلفائه الأربعة.

موقف الشيعة من الصحابة

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده.. وبعد:

فإن من أصول أهل السنة سلامة قلوبهم وألسنتهم لأصحاب النبي ﷺ طاعةً لقول الله سبحانه: «وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلاًّ لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ» [الحشر: ١٠].

ويقول النبي ﷺ: «لا تسبوا أصحابي...».

كما أنهم يفضلون من أنفق من قبل الفتح وقاتل على من أنفق من بعد وقاتل ؛ لقوله سبحانه: «لاَ يَسْتَوِي مِنْكُمْ مَنْ أَنْفَقَ مِنْ قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَاتَلَ أُولَئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِنَ الَّذِينَ أَنْفَقُوا مِنْ بَعْدُ وَقَاتَلُوا وَكُلاً وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَى».

ويقدمون المهاجرين على الأنصار، حيث إنهم جمعوا بين النصرة والهجرة، يقول الله سبحانه: «لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلاً مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا وَيَنْصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ (٨) وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلاَ يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا» [الحشر: ٨، ٩].

فالآية بدأت بذكر المهاجرين قبل الأنصار وكذا في سورة التوبة، ولذا فالخلفاء الراشدون والعشرة المبشرون بالجنة من المهاجرين، مع ملاحظة أن هذا التفضيل في الجملة، فقد يوجد في الأنصار من هو أفضل من بعض المهاجرين، وكذا فهم يؤمنون بأن الله قال لأهل بدر: «اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم»، وبأنه لا يدخل النار أحد بايع تحت الشجرة، ففيهم قال رب العالمين: «لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ»، وهذا الرضا يستلزم موتهم على الإيمان ؛ إذ كيف يرضى الله سبحانه عمن يعلم أنه سيرتد بعد إيمانه ؟! فهذا الرضا مانع من إرادة تعذيبهم ومستلزم لإكرامهم ومثوبتهم، كما أنهم يشهدون بالجنة لمن شهد لهم رسول الله ﷺ، ويقرون بأن خير الأمة بعد نبيها هو الصديق رضي الله عنه، ثم عمر، ثم عثمان، ثم علي رضي الله عنهم أجمعين، وذلك لما دلت عليه الآثار، وتواتر به النقل عن الصحابة الأطهار، ولهذا فمذهب أهل السنة أن ترتيب الخلفاء في الفضل حسب ترتيبهم في الخلافة، حيث إن الصحابة أجمعوا على تقديم عثمان رضي الله عنه في البيعة لأنها كانت بمشورة الستة الذين عينهم عمر رضي الله عنه.

وهم كذلك يحبون أهل البيت ويتولونهم عملاً بحديث رسول الله ﷺ يوم غديرخم: «أذكركم الله في أهل بيتي». ويتولون زوجات الرسول ﷺ، فهن أمهات المؤمنين اختارهن الله للزواج بأشرف الخلق، ولذا فهن أزواجه في الآخرة وخاصة خديجة بنت خويلد التي آمنت حين كذب الناس، وأعطت حين منع الناس، وصدقت حين كذب الناس، وكذا الصديقة بنت الصديق المبرأة من فوق سبع سماوات، والتي مات رسول الله ﷺ ورأسه بين سحرها ونحرها، ودفن في حجرتها ونزل الوحي في فراشها، وفضلها على سائر النساء، كفضل الثريد على سائر الطعام، كما في الحديث.

وختامًا: فهم يمسكون عما شجر بين الصحابة من خلاف، فهم إما مجتهد له أجران أو مجتهد له أجر، ففي كل الأحوال هم مأجورون معذورون، فحسناتهم الماحية وسبق إسلامهم وهجرتهم ونصرتهم ومحاسنهم وجهادهم واصطفاء رب العالمين لهم لصحبة نبيه ﷺ جعلهم صفوة الأمة وأكرمها على الله، وهم مع ذلك ليس لهم العصمة من الذنوب كبائرها وصغائرها، بل الذنوب تجري عليهم وتصدر منهم لكنهم لهم من السبق والفضل ما يوجب المغفرة ويجلب الرحمة.

هذا هو معتقد أهل السنة تجاه السلف الصالح وخير القرون، بيد أن الرافضة سلكوا طريقًا غير سبيل المؤمنين فراحوا يشوهون سلف الأمة الأبرار ويطعنون في زوجات النبي المختار.

أولاً: التشويه الشيعي للصحابة الأبرار:

يمثل التشويه للصحابة الأبرار هدفًا لأئمة الشيعة المعصومين -زعموا-، حيث إن الروايات الثابتة عنهم تحمل الحقد واللعن والطعن والسب للصحابة الأطهار، ولأمة الإسلام - دين رب العالمين المختار.

وإليك أخي بعضًا من هذه اللعان:

١-قولهم أن إبليس هو أول من بايع الصديق: وأهل بدر من المهاجرين والأنصار أهل غدر

سلك الرافضة سبيلاً غير سبيل المؤمنين، فراحوا يشوهون الصحابة الأبرار، ويطعنون في زوجات النبي المختار ﷺ رضي الله عنهم.

إعداد/ أسامة سليمان

وخيانة زعموا ذلك برواية نسبوها إلى سلمان الفارسي، التي جاء فيها أن رسول الله ﷺ سأله أتدري من أول بايع الصديق حين صعد المنبر ؟ قلت: لا، ولكن رأيت شيخًا كبيرًا يتوكأ على عصاه صعد المنبر أول من صعد وهو يبكي ويقول: الحمد لله الذي لم يمتني حتى رأيتك في هذا المكان، أبسط يدك، فبسط يده فبايعه، ثم قال: يوم كيوم آدم، ثم نزل فخرج من المسجد، قال علي عليه السلام: فإن ذلك إبليس.. أخبرني بذلك رسول الله ﷺ .

وفي ختام هذا الزيف قال سلمان: فلما كان الليل حمل علي رضي الله عنه فاطمة على حمار وأخذ بيد ابنيه الحسن والحسين، فلم يدع أحدًا من أهل بدر إلا أتاه في منزله ودعاهم إلى نصرته، فما استجاب له منهم إلا أربعة وأربعون رجلاً، فأمرهم أن يصبحوا محلقين رؤوسهم معهم سلاحهم ليبايعوا على الموت، فلم يواف منهم أحد إلا أربعة: أنا وأبو ذر والمقداد والزبير بن العوام. (راجع: أبجد الشيعة ص٧٩ وما بعدها).

ولا يخفى عليك كذب هذا الزيف في حق الصديق وأهل بدر من المهاجرين والأنصار الذين قال الله فيهم: «هُوَ الَّذِي أَيَّدَكَ بِنَصْرِهِ وَبِالْمُؤْمِنِينَ» أيليق بعد ذلك وصفهم بالغدر والخيانة.

٢- الزعم باضرام النار في بيت علي وفاطمة بأمر عمر لإجبارهم على البيعة، بل زادوا في زيفهم أن عمر ضرب فاطمة فاستغاثت بأبيها من بطش عمر المسمى منفد عند الشيعة والذي كسر ضلع فاطمة فألقت جنينًا من بطنها، فلم تزل صاحبة فراش حتى ماتت شهيدة. (المرجع السابق ص٨٤، ٨٥).

فهل تصدق أن عليًا رضي الله عنه البطل الكرار المقدام قد قادوه بحبل وهو مسكين مستضعف يقول: يا ابن أم إن القوم استضعفوني وكادوا يقتلونني!!

وهل كان الصديق رضي الله عنه حريصًا على الإمارة لدرجة أنه يأمر عمر باضرام النار في بيت علي وفاطمة، أليس ذلك تشويهًا للإسلام وأهله ؟

وتشبيه السلف بقوم موسى الذين استضعفوا هارون الذي عجز عن ردهم حينما عبدوا العجل من دون الله.

٣- يشبهون أمة الإسلام بأمة عبدة العجل في روايات نسبوها إلى المعصوم الأول، في زعمهم - علي رضي الله عنه - فجاء في «أبجد الشيعة» (ص٢١٠): «إن قلوب هذه الأمة أشربت حب هذين الرجلين - أي: أبي بكر وعمر - كما أشربت قلوب بني إسرائيل حب العجل والسامري».

أليس في ذلك تشويه لعلي رضي الله عنه الذي يمثل أحد أعلام هذه الأمة فضلاً عن الإساءة للنبي ﷺ ، وأين ذلك من قول الله: «كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ» [آل عمران: ١١٠].

٤- اتخاذهم يوم استشهاد عمر عيدًا:

جاء في النعمانية (ص١٠٨) عن العسكري، عن أبيه: أن هذا اليوم يوم عيد وهو من خيار الأعياد عند أهل البيت.. فهو اليوم الذي قبض الله فيه عدوه وعدو جدكما -... النبي ﷺ - بل ذهبوا إلى أن من وسع في ذلك اليوم على أهله وأقاربه زاد الله في ماله وعمره، وأعتقه من النار، وجعل سعيه مشكورًا، وذنبه مغفورًا وأعماله مقبولة، ويأمر الله الكرام الكاتبين في ذلك اليوم أن يرفعوا القلم عن الخلق ثلاثة أيام من أجل ذلك اليوم...

وإجابة على إشكالية زواج عمر رضي الله عنه لأم كلثوم بنت علي رضي الله عنه، وذلك بعد ردة عمر إلى الكفر كما زعم هؤلاء المجاذيب، جاء الجواب أن الصادق عليه السلام لما سُئل عن هذه المناكحة قال: إنه أول فرج غصبناه. (المرجع السابق ج١ ص٨١-٨٤).

ولم يسلم عثمان رضي الله عنه من نار حقدهم، حيث زعموا أنه كان ممن أظهر الإسلام وأبطن النفاق، بل إن أغلب الصحابة كانوا على النفاق لكن كانت نار نفاقهم كامنة في زمن النبي ﷺ ولما انتقل إلى جوار ربه ظهرت نار نفاقهم لوصيه علي بن أبي طالب رضي الله عنه !!

ثالثًا: التشويه الشيعي لآل البيت:

بداية نود أن نؤكد على حقيقة غفل عنها الشيعة - لعمي بصيرتهم - وهي أن الطعن في أصحاب رسول الله ﷺ طعن فيه ﷺ ، وطعن في أهل بيته ذلك لأنه يثير الشبهات حول الإسلام، إذ لقائل أن يقول: من الذين تأثروا بدعوة النبي واهتدوا برسالته ؟!

فإذا كان الجواب أصحابه فماذا لو صدقنا الشيعة في أن أصحابه غالبهم مرتدون منافقون، فمن حينئذ انتفع بدعوته؟

٢- التشويه الشيعي لبنت النبي فاطمة الزهراء رضي الله عنها، حيث راحوا يختلقون القصص التي تشوه سيرتها العطرة النقية، حيث زعموا أنها واجهت الصديق بألفاظ نابية في جمع حاشد من المهاجرين والأنصار لأنه حرمها من ميراث أبيها ﷺ ، فراحت رضي الله عنها ترمي الحضور من المهاجرين والأنصار بالنفاق واتباع الشيطان والنكوص عن الإسلام وهجر القرآن وإهمال سنن النبي ﷺ وابتغاء حكم الجاهلية، ونكث الإيمان ثم توعدت الصديق بالعذاب المقيم وانقلاب الظالمين والعار والشنار وجهنم وبئس المصير.

أليس نسبة هذا الكلام إلى ابنة النبي ﷺ فيه إساءة لفمها الطاهر وتشويه لآل البيت فضلاً عن الإساءة لخير الأنام وسيد ولد عدنان ﷺ !! «أَلَيْسَ مِنْكُمْ رَجُلٌ رَشِيدٌ».

بئس ما زعم الرافضة الكاذبون من تلفيق الروايات لابنة خير الأنام من عبارات يستحيل أن تخاطب بها من صاحب أباها وتزوج ابنته ولازمه في سفره وترحاله، أيليق بالفم الطاهر أن يسيئ لرجل في الستين من عمره ؟ ألا يدل ذلك على سوء التربية والأدب، فما لهؤلاء القوم لا يكادون يفقهون حديثا، نبرأ إلى الله من كذب الرافضة وإساءتهم لخير نساء العالمين.

٣- الإساءة لأم المؤمنين عائشة رضي الله عنها مع كافة أمهات المؤمنين، رضي الله عنهن:

حيث زعم هؤلاء الوضاعون أن النبي ﷺ جعل أمر نسائه من بعده لعلي رضي الله عنه، فلما كان يوم الجمل قال أمير المؤمنين رضي الله عنه: والله ما أراني إلا مطلقها، فبكت عائشة عند ذلك حتى سمعوا بكاءها.. (الاحتجاج للطبرسي ج١ ص٢٤٠).

فضلاً عن نسبة حوار لابن عباس رضي الله عنهما لأم المؤمنين عائشة في يوم الجمل يظهر حقدهم وغلهم على زوجة النبي ﷺ الطاهرة، حيث زعموا أن ابن عباس قال لها: نحن أولى بالسنة منك، ونحن علمناك السنة، وبيتك الذي خلفك فيه رسول الله ﷺ ، فخرجت منه ظالمة لنفسك غاشة لدينك عاتية على ربك عاصية لرسوله ﷺ ، وإن أمير المؤمنين علي يأمرك بالرحيل إلى المدينة. [رجال الكشي - للطوسي ص٥٧ - ٥٨).

هل يصدق من له أدنى عقل أو فهم هذه الإساءة من حبر الأمة وترجمان القرآن لزوجة خير الأنام والتي نزل بشأنها قرآن يظهر عفتها ويدلل على فضلها، لكنه الحقد والحسد وسوء الأدب مع آل البيت، وإن ادعوا غير ذلك !!

والله من وراء القصد.



الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن والاه، وبعد:

فلقد فجعت الأمة بخبر موت عالم من علماء الأمة الإسلامية العاملين ألا وهو الشيخ/ عبدالله بن جبرين، عضو هيئة كبار العلماء بالسعودية.

ولكن عزاؤنا أن أمة الإسلام أمة ولادة، فما أن يموت عالم إلا ويخرج الله عز وجل لنا علماء.

فلم ينته الإسلام بموت أحد العلماء، وإلا لماتت الأمة بعد موت النبي £ ، ولكن الله سبحانه وتعالى يحفظ الأمة.

والعلامة عبد الله بن جبرين رحمه الله له من الأعمال والفضائل الكثيرة والمؤلفات العديدة التي أثرى بها المكتبة الإسلامية.

والشيخ رحمه الله كان فقيهًا وداعية، وصل علمه الى أنحاء المعمورة، ودرس على يديه الكثير من طلابه الذين أصبحوا دعاة الى الله وانتشروا في جميع بلدان المسلمين.

وقد عاش الشيخ - رحمه الله - حياة بسيطة حيث كرس كل وقته للعلم والدروس والمحاضرات ولم يفوت منها شيئاً، وكان يلقي محاضراته ودروسه في جامع الراجحي ولم تنقطع إلا بعد دخوله المستشفى، وفي فصل الصيف كان يقوم برحلة داخل المملكة ينطلق فيها من الرياض إلى مكة ثم إلى الطائف وجدة والجنوب ثم يعود إلى الرياض مع مرافقيه، ثم إلى شمال المملكة وإلى المنطقة الشرقية والقصيم، وهي رحلات كانت كلها لإلقاء الدروس والمحاضرات، ومن الأشياء التي يحرص عليها أيضا الذهاب إلى مكة المكرمة بعد العشر الأوائل من رمضان، ويبقى هناك حتى العيد، وفي فترة الحج كان يُطلب من قبل بعض الجهات الحكومية لمرافقتها، وفي السنوات الأخيرة كان يرافق حجاج الحرس الوطني.

الشيخ في سطور

والشيخ ابن حبرين - رحمه الله - من أشهر المفتين في العصر الحديث، وهو عضو إفتاء سابق بالرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء، وكان يجيب على أسئلة المستفتين عبر وسائل الإعلام المختلفة.

وللشيخ - رحمه الله - ما يزيد على ستين مؤلفًا، من أهمها في مجال الفتوى: «فتاوى الزكاة»، و«فتاوى رمضانية»، و«فتاوى في التوحيد»، و«فتاوى في الطهارة»، و«الأجوبة الفقهية على الأسئلة التعليمية التربوية»، و«الفتاوى الجبرينية»، و«الفتاوى النسائية».

مولده: ولد ابن جبرين سنة ١٣٥٢هـ (١٩٣٣م) في إحدى قرى «القويعية» وسط المملكة العربية السعودية، وبدأ تعلم العلوم الشرعية منذ صغره، حيث أتقن تلاوة القرآن وحفظه في سن مبكرة، وكان لوالده الأثر الأكبر في إقباله على النهل من علوم الشريعة، والاغتراف من بحورها.

تعليمه: درس الشيخ علوم الحديث، وعلم التوحيد، والفقه الحنبلي، وغيرها من علوم العربية والشريعة على شيخه الثاني بعد أبيه الشيخ عبدالعزيز بن محمد الشثري المعروف بأبي حبيب، ثم انتقل معه إلى الرياض فنال شهادة الثانوية ومعهد القضاء العالي، ثم الماجستير والدكتوراه من كلية الشريعة بالرياض.

شيوخه: ومن شيوخه الذين أخذ عنهم العلم: الشيخ صالح بن مطلق، والشيخ العلامة محمد بن إبراهيم آل الشيخ، وغيرهما.

وظائفه: عُين مدرسًا في معهد إمام الدعوة عام ١٣٨١هـ (١٩٦١م)، ودرس الكثير من المواد بالمعهد كالحديث، والفقه، والتوحيد، والتفسير، والمصطلح، والنحو، والتاريخ، ثم انتقل في عام ١٣٩٥هـ (١٩٧٥م) إلى كلية الشريعة بالرياض وتولى تدريس التوحيد للسنة الأولى.

وفي عام ١٤٠٢هـ (١٩٨١م) انتقل إلى رئاسة البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد عضوًا بها، وتولى الرد على الفتاوى الشفهية والهاتفية.

وجماعة أنصار السنة المحمدية عامة، ومجلة التوحيد خاصة تبتهل إلى الله العلي القدير أن يجمعنا به في الفردوس الأعلى، ونتقدم بخالص العزاء إلى أسرة شيخنا رحمه الله، وإلى هيئة كبار العلماء بالمملكة العربية السعودية.

وإنا لله وإنا إليه راجعون.

التحرير

نتيجة مسابقة السنة النبوية

المستوى الأول

١-	سيدة عبد العال إبراهيم دياب	اسكر - الصف - حلوان
٢-	أنس محمد عبد المنعم محمد الغنام	القنايات - الزقازيق شرقية
٣-	عبير أحمد كامل محمد	أسكر - الصف حلوان
٤-	عائشة علي صديق علي	أسكر - الصف حلوان
٥-	محمد نصر أبو سريع محمد الطحان	كرداسة - جيزة
٦-	شيماء محمود عرنسة	منية دمياط - كوبري - المنبة - دمياط
٧-	عبير رياض عبده السقا	دمياط - منية دمياط
٨-	محمد علي أحمد عبد الله	الفيوم - قرية العجميين -. أبشواي
٩-	محمد أبو الفتوح محمد محمد مصطفى	فرسيس - الزقازيق - شرقية
١٠-	أحمد السيد عبد القادر يوسف	تل روزن - بلبيس شرقية
١١-	عمار محيي عيد محمد أبو سلامة	منشأة البكاري - هرم - جيزة
١٢-	حمدية عبد الله حسين يوسف	أسكر - الصف - حلوان
١٣-	محمود عبد الحميد عبد اللطيف محمد	صول - أطفيح - حلوان
١٤-	سمر عزيز حبشي	دمياط - السيالة
١٥-	سعيد محمد عبد الله أحمد	الفيوم - أبشواي - العجميين
١٦-	عبد المنعم أحمد عبد الكريم عبد العظيم	صول - أطفيح - حلوان
١٧-	مصطفى محمد أمين القطب	المحلة الكبرى - غربية
١٨-	عبد الفتاح رضا محمد الطنطاوي	دمياط - منية دمياط
١٩-	عبد الله محمد شلبي عبد الخالق	عين شمس - القاهرة
٢٠-	عايدة فايز عبد رب النبي محمد	أسكر - الصف - حلوان

المستوى الثاني

١-	طارق فتحي سلامة عفيفي	العطف - العياط - ٦ أكتوبر
٢-	محمد خالد فرحات محسب	طوة - ببا بني سويف
٣-	أحناء السيد محمد السيد	بلبيس شرقية
٤-	إيمان سيد خليل إبراهيم	أسكر - الصف - حلوان
٥-	شيماء إسماعيل علي إبراهيم	عرب غنيم - حلوان
٦-	طاهر كمال السيد كمال الزغبي	أبو زيادة - دسوق - كفر الشيخ
٧-	عبد الرحمن مصطفى حسن سيد	السويس - مساكن المعمل
٨-	منى محمد حسن إبراهيم	أسكر - الصف - حلوان
٩-	محمود عمر بدر	دمياط - فارسكور - الرحامنة
١٠-	مايسة رمضان فرحات حسين	طوه - ببا - بني سويف
١١-	سعد الدين محمود عطية محمد	المرج - القاهرة
١٢-	محمد شعبان عبد الحميد أفندي سعد	شوبك بسطة - الزقازيق - شرقية
١٣-	سمية بشير السيد غالي	منية سمنود - أجا - دقهلية
١٤-	طارق محمد صبري محمد	النخاس - الزقازيق - شرقية
١٥-	سمية إبراهيم عبد البديع صقر	المرج الشرقية - القاهرة
١٦-	علاء محمد أحمد الليثي	المحلى الكبرى - منشية أبو دراع
١٧-	خضر محمد خضر محمد	منيا القمح - شرقية
١٨-	رضا متولي العوضي عبد العال	الهجارسة - كفر صقر - شرقية
١٩-	أحمد السيد عبد المقصود عبد العال	منشأة الأوقاف - دمنهور - بحيرة
٢٠-	إسراء يحيى طه أحمد	طوه - ببا - بني سويف

المستوى الثالث

-١	أحمد عياد محمد العباسوي	العدلية - بلبيس - شرقية
-٢	صلاح محمد رزق الحليسي	دمرو سليمان - دسوق كفر الشيخ
-٣	محمد محمد يوسف عمران	قونة - قلين - كفر الشيخ
-٤	إسراء مصطفى محمد الزيادي	العدلية - بلبيس - شرقية
-٥	أحمد متولي عبادي	العدلية - بلبيس - شرقية
-٦	إنجي السيد فتحي محمد	العدلية - بلبيس - شرقية
-٧	أحمد جمعة محمد السيد	بني مجدول كرداسة جيزة
-٨	أحمد محمد أحمد شيتوي	الإسكندرية - أبو تلات
-٩	رقية إبراهيم عبد البديع محمد صقر	مظهر عاشور المرج بالقاهرة
-١٠	نهى محمد محمد السلاوي	بلبيس - شرقية - سعدون
-١١	هدى أحمد كمال محمد	عمرانية غربية - جيزة
-١٢	يحيى زكريا محمد السيد سعدون	العواسجة - ههيا شرقية
-١٣	رانيا عبد اللطيف المناوي	دمياط
-١٤	نسرين عدلي محمد حسن البدالي	السرو - الزرقا - دمياط
-١٥	محمود أحمد أحمد الشعراوي	العدلية - بلبيس - شرقية
-١٦	أحمد عبد الله عبد الله متولي	محلة الليث - بسيون - غربية
-١٧	عمرو أيمن أبو زيد أحمد	شارع مصر والسودان - حدائق القبة
-١٨	فيصل محمد سعيد بلحاج	حدائق المعادي
-١٩	آمال فاروق سعد أحمد	طوه - ببا - بني سويف
-٢٠	أسماء عبد السلام كامل أحمد محمد	طوه - ببا - بني سويف

المستوى الرابع

-١	علياء رمضان عبد الله محمد	أسكر - الصف - حلوان
-٢	حسني عبد المنعم إبراهيم عطية	ميت اشنا - أجا - دقهلية
-٣	علي عبد الحكيم علي سيد أحمد	بلقاس - دقهلية - عزبة أبو جمعة
-٤	داليا إبراهيم السيد محمد	كفر أبو حاكم - الزقازيق شرقية
-٥	كوثر محمد محمود محمد	الكريمات - مساكن محطة الكهرباء - حلوان
-٦	فاطمة محمد محمود محمد	التبين - مساكن الحديد والصلب - حلوان
-٧	محمد بسيوني إبراهيم أبو عطا	كفر جعفر - بسيون - غربية
-٨	إيمان أحمد عبد الفتاح محمد علي	بلبيس - شرقية - حي الزهور
-٩	محمد عبد الغني أحمد إبراهيم	كفر الشيخ
-١٠	علية علي قاسم محمود محمد	العدلية - بلبيس شرقية
-١١	محمد محمود محمد السيد مبارك	قرية المعالي - منيا القمح شرقية
-١٢	إسراء محمد محمود	الزقازيق شرقية - الحسينية
-١٣	رانيا سعيد عبد المحسن محمد	الكريمات - محطة الكهرباء
-١٤	صفاء عبد الغني زيدان بركات	الوادي - الصف - حلوان
-١٥	بدرية أحمد علي خليفة	أسكر - الصف - حلوان
-١٦	أحمد محمد عبد الله أحمد	تل روزن - بلبيس - شرقية
-١٧	أحمد السيد محمد محمد	كفر حمودة - ههيا - شرقية
-١٨	أحمد سمير أمين محمد عرفة	أسكر - الصف - حلوان
-١٩	محمد فاروق عبد الله الشعراوي	الفهميين - الصف - حلوان
-٢٠	حليمة محمد حافظ نصر	بلبيس - شرقية

وسوف يقام إن شاء الله تعالى حفل لتوزيع الجوائز وتكريم الفائزين بمقر المركز العام لجماعة أنصار السنة المحمدية يوم الأحد ١١ شعبان ١٤٣٠ هـ الموافق ٢ / ٨ / ٢٠٠٩ م عقب صلاة الظهر مباشرة وكل فائز يحضر معه بطاقته، فإن كان صغيراً، فيحضر شهادة ميلاده وبطاقة ولي أمره والله الموفق


دعوة للصدقة الجارية
دعوة للصدقة الجارية
جماعة أنصار السنة المحمدية
فرع العصافرة - دقهلية
مستشفى أمراض الكُلى والمسالك البولية
... يمكنكم المشاركة معنا في هذا الخير الكثير
سارع بالمشاركة في إنقاذ مرضى ينتظرون المساعدة -
حيث إن المستشفى سوف يخدم مناطق كبيرة من
محافظات دمياط والدقهلية والشرقية وبور سعيد.
المساعدة في إتمام مستشفى الكُلى
والمسالك البولية بالمنطقة.
المساعدة في
إتمام
التشطيبات
وشراء
الأجهزة
للمستشفى.
الإنشاءات الحالية
للتبرع النقدي أو العيني بمقر الجمعية خلف وحدة العصافرة
الصحية - ش / الطريق الزراعي
تليفون رقم: ٠٥٠٧٧٦١٢٥٠ محمول: ٠١٦١٣٨٥٢٥٨
حساب بنك مصر - فرع المطرية - دقهلية رقم: ٣٠٢٠ / ١ / ٢٤٠